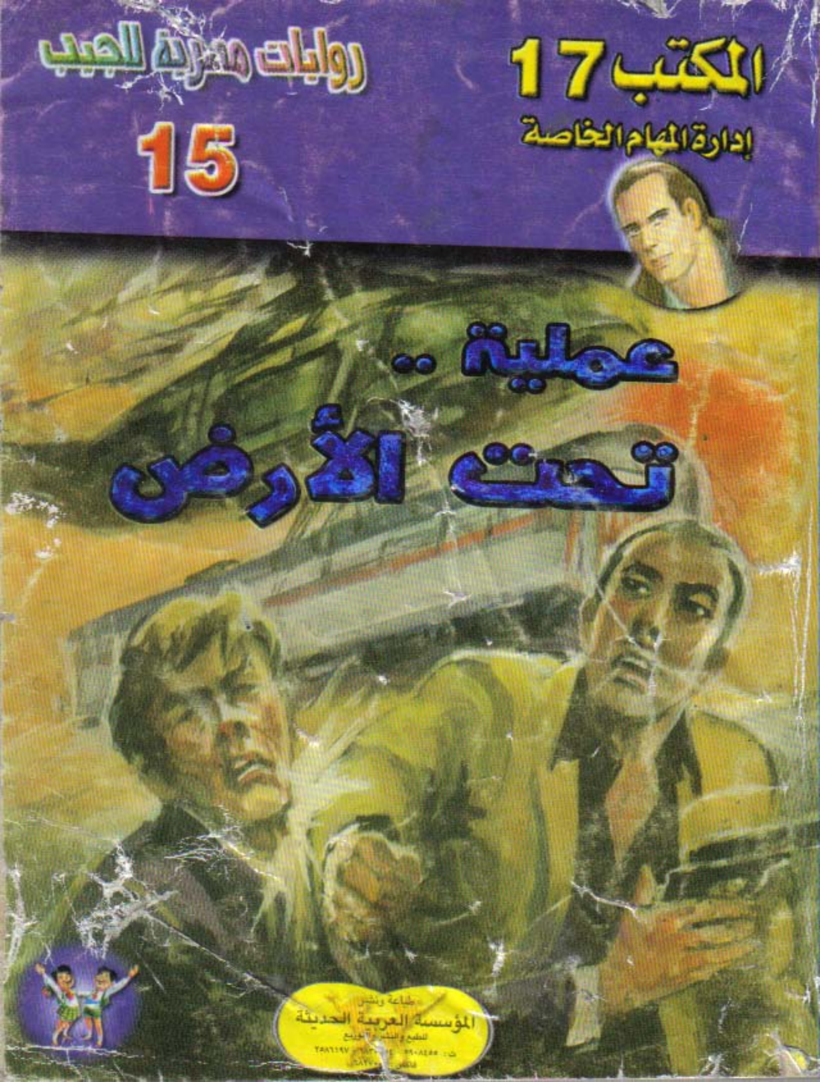


روايات مصرية للجيب
المكتب 17
إدارة المهام الخاصة
15
عملية ..
تحت الأرض
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

عملية .. تحت الأرض

السؤال الأول : ما هى العلاقة بين تلك الحفرة العملاقة فى صحراء (سيناء) ، وشحنة البضائع التى تم إنزالها فى ميناء العين السخنة ؟!

السؤال الثانى : كيف يمكن لـ (عمر زهران) أن يقوم بمهمته هذه المرة تحت الأرض ؟!

السؤال الثالث والأخير : هل هى قنبلة نووية حقا ؟!



د . محمد سليمان عبد المالك

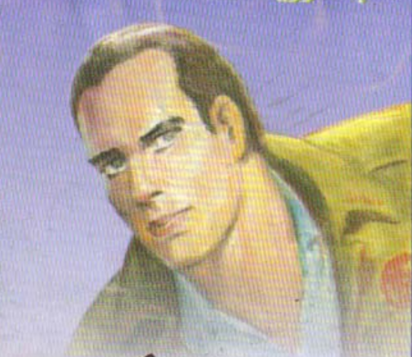
المكتب 17

إدارة المهام الخاصة

****

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق





الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

عملية غضب المحيط

١ـ حفرة .. وميناء .. وطريق منعزل !

غروب الشمس المنكسر عند أفق الرمال ، والموقع يحفل بالعمل والعمال والعرق والتراب وضجيج الآلات ..

والهمهمات ..

اليوم ينتهى ، والحفر أيضًا ..

هتف رجل يقود جرارًا ضخمًا فى الموقع ، مخاطبًا الجالس إلى جواره بلكنة ريفية ، وهو يتعمَّد الإعلاء من نبرته حتى تغدو مسموعة برغم هدير المحرك الصاخب :

ـ أسبوع قاتل يا (رمضان) ..

أومأ (رمضان) برأسه فى تأييد ، قبل أن يهتف هو الآخر :

ـ صدقت يا (سليمان) ، وفى قلب (سيناء) حيث لم نتوقع أن نكون قط !

صاح (سليمان) وهو يفرغ حمولة الرمال الأخيرة إلى كومة قريبة :

ـ نحن وراء العمل أينما كان يا رجل ..

ـ أعرف هذا ، لكن هذا العمل بالذات هو أغرب ما قابلت فى حياتى ..

ـ ولماذا هذا العمل بالذات ؟!

قال (رمضان) مشيرًا إلى قلب موقع العمل :

ـ أخبرنى عن فائدة هذه الحفرة الواسعة فى قلب الصحراء وسأخبرك عندها عن السبب !

هزَّ (سليمان) كتفيه ، وقال دون أن يخفت صوته :

ـ وما شأننا نحن العاملين البسطاء بفائدة أمر كهذا ؟! إن من يدفعون لنا أجورنا لديهم أسبابهم القوية حتمًا ..

وغمز صاحبه قبل أن يضيف بلهجة ذات مغزى :

ـ .. وإياك أن تنكر ـ يا صديقى ـ أن المقابل مجز حقًّا ..

أرسل (رمضان) ببصره إلى الحفرة الواسعة التى يشرف عليها الجرار مع جرارات وآلات حفر متقدمة أخرى ، هذا غير عشرات العمال الذين أتوا فى عربات نقل منذ أسبوع ، وانعقد حاجباه فى غير اقتناع بما يقوله رفيقه ..

إنها حفرة عملاقة حقًا ، يتعدى عمقها الخمسة أمتار ويبلغ قطرها خمسة عشر مترًا تقريبًا ، وقد استغرقت خلية النحل هذه سبعة أشهر كاملة من أجل إنجاز حفرها ، بعد أن وعدتهم شركة المقاولات المصرية ـ التى يعملون لصالحها ـ بمقابل ضخم لكل منهم ، بعد أيام من الركود الطويل بلا عمل ..

غمغم (رمضان) لنفسه فى شىء من التهكم :

ـ لا تبدو فكرة حوض الاستحمام الصحراوى مريحة أو مقنعة إلى هذا الحد !

واخترق صوت (سليمان) أفكاره ، بعد إذ أطفأ محرك الجرار :

ـ دعك من التفكير يا (رمضان) ، فالمسألة أبسط من ذلك بكثير .. مهمة أنجزناها وقبضنا أجورنا ، ولو طلبوا منا أن نعود لردمها غدًا لفعلنا ..

نظر (رمضان) فى وجه صاحبه مليًا محاولاً هضم ما يقول ، فأردف الرجل وهو يستعد للترجل من فوق مقعد القيادة :

ـ .. من حكم فى ماله فما ظلم يا أخى !

كاد (رمضان) يغمغم فى غير اقتناع مرة أخرى :

ـ صدقت !

لكن عبارته تاهت مع هدير المروحية الذى دوى فى أنحاء السماء البنفسجية ، فرفع الرجلان بصرهما ينظران ـ وكذا فعل جميع العمال ـ نحوها ، وهى تقترب من الموقع فى اطراد ، وتبدأ رحلة هبوطها العمودى بجوار خيمة الإدارة المركزية للعملية ..

ـ لقد أتوا ..

قالها (سليمان) باسمًا ، فهز (رمضان) رأسه بالإيجاب وهو يتأمل فى المجهول مغمغمًا :

ـ هذا مريب أكثر ..

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب (رمضان) وهو يتعمق فى التفكير أكثر :

ـ لقد أتت هذه المروحية مرة منذ أسبوع واحد ، فى يوم بداية العمل ..

قال (سليمان) فى بساطة :

ـ حدث هذا بالفعل ، وهبط منها الرجل المتأنق والمرأة

المتفجرة الجمال ، اللذان يبدوان من الأجانب .. ما المشكلة فى هذا ؟!

أجاب (رمضان) وهو يتعمق فى التفكير أكثر وأكثر :

ـ وهاهما يعودان فى يوم نهاية العمل ..

ـ ماذا تريد أن تقول ـ باللّه عليك ـ يا (رمضان) ؟!

هز (رمضان) كتفيه ، ونفض رأسه فى قوة كأنه يطرد منها الأفكار السوداء قائلاً :

ـ لا شىء .. لا شىء البتة ..

والتفت ناظرًا إلى المروحية التى ربضت فوق الرمال القريبة ـ بعد أن أثارت عاصفة محدودة منها ـ وهو يغمغم ، دون أن تعينه عقليته البسيطة على رؤية الصورة كاملة :

ـ .. لكن كل شىء يبدو غير مريح بالمرة ..

انفتح باب المروحية مع هرولة الشاب الذى غادر الخيمة ، وعلى وجهه أعرض ابتسامة يمكن أن يراها إنسان ، وهبط منها رجل متأنق يرتدى نظارة شمسية ـ برغم غروب الشمس الفعلى ـ وقميصًا بربطة عنق (فيرساشى) باهظة الثمن ، ويحمل فى يده حقيبة أعمال ماركة (سمسونايت) الشهيرة ..

ـ أهلا بك ، سيد (روس) ..

خلع الرجل نظارته الشمسية لتتبدى من أسفلها عيناه الضيقتان ، ولم يتبدل سمته الجامد إذ رفع يده مصافحًا ، وقائلاً بلهجة ثلجية :

ـ عمت مساءً ، (أيمن) ..

أرسل (أيمن) بصره إلى باب المروحية ، وانتعشت روحه عندما رآها تهبط منها ..

أجمل امرأة يمكنك رؤيتها على وجه البسيطة ؛ من وجهة نظره على الأقل ..

شعر ذهبى ، شفتان مثل ثمرتى فراولة ، عينان مرسومتان فى تصوير إلهى بديع ، أنف صغير مدبب قليلاً ، قوام سمهرى يغطى ثوب صيفى سماوى اللون بعضه .. ويكشف ـ فى الوقت نفسه ـ من فتنته الكثير ..

ـ أنارت الدنيا بأسرها ، آنسة (كيم) بوجودك فيها ..

مدت (كيم) أناملها لتصافح بأطرافها (أيمن) اللاهث فى انبهار ، وهى تقول فى منطقة وسطى بين الجدية والدلال المغرى :

ـ أوه ، عزيزى (أيمن) .. لا تكن مبالغًا !

- تفضلا لتريا ما أنجزناه من العمل ..

هتف بها (أيمن) وهو يهم بالمضى شطر الحفرة فى منتصف الموقع ، لكن (روس) قبض على ذراعه بأصابع فولاذية آلمته ، قائلاً فى لهجته المعدنية الباردة :

- رأينا كل شىء من نظرة الطائرة يا صديقى .. نفضل أن نتحدث على انفراد فى خيمتك إن لم يكن هذا يضايقك ..

وجم (أيمن) للحظة ، وخلص ذراعه من قبضة (روس) محاولاً أخذ الأمر على محمل البساطة والابتسام :

- بالطبع لا يضايقنى .. يمكننا التفضل على الرحب والسعة ..

ابتسمت (كيم) فى سحر وهى تقول ماضية إلى الخيمة :

- هذا رجلنا ..

واحتوت الخيمة ثلاثتهم ، مع زحف الليل الأزرق على صفحة السماء ..

نظر (أيمن) إلى الحقيبة (السمسونايت) المفتوحة أمام عينيه ، والتى تراصت داخلها رزم الدولارات الأمريكية ، محاولاً منع نفسه من القفز فى سعادة ..

- يبدو هذا كثيرًا جدًّا ، سيد (روس) :

قالت (كيم) وهى تضع ساقًا فوق أخرى ، فيما انخرط (روس) فى تدخين سيجاره الرفيع ذى العبق النفّاذ :

- لا شىء كثير على عملك الرائع يا عزيزى (أيمن) .. لقد أنجزت المهمة فى الموعد المتفق عليه بالضبط ، وهذا جعلنا نرى أنك تستحق مكافأة صغيرة فوق مبلغ المقاولة الذى اتفقنا عليه ..

هز (أيمن) كتفيه ، وقال محاولا تصور المبلغ الذى تحويه الحقيبة :

- لم يكن الأمر صعبًا فى الواقع ، مجرد حفرة واسعة فى قطعة الأرض التى تملكونها فى صحراء (وسط سيناء) ..

أسبلت (كيم) جفنيها ، وقالت فى نعومة :

- لا تبخس عملك قدره الحقيقى يا عزيزى ..

ونفث (روس) دخان سيجاره ذا العبق النفاذ ، قبل أن يقول :

- بالإضافة إلى أننا سنحتاج منك بعض الخدمات الأخرى ..

هتف (أيمن) فى حبور :

- خمنتُ هذا فى الواقع .. لا بد أنكم ستبنون هنا مقر

شركة ما ، وما كان هذا العمل سوى مجرد اختبار لقدرة شركة مصرية متواضعة مثل شركتى على القيام بمهمة حفر الأساس .. أحب التأكيد ـ سيدى وسيدتى ـ على أننى سأمنحكم أفضل الخدمات من تصميم وبناء وإشراف معمارى بأرخص الأسعار ..

قاطعه (روس) ؛ بنفس هدوئه الذى يبعث القشعريرة فى الأوصال :

ـ طريق خطأ ، سيد (أيمن) !

حدق فيه (أيمن) بتساؤل لا ينقصه الذهول ، ففسرت (كيم) بقولها وهى تغير من وضع ساقيها الجميلتين :

ـ نحن لن نبنى شيئًا هاهنا يا عزيزى ..

غمغم (أيمن) لنفسه بصوت خافت :

ـ لن تبنوا شيئًا ؟!

أكد (روس) بقوله :

ـ لن نبنى شيئًا فى هذه الصحراء القاحلة !

نظر (أيمن) إلى رزم الأوراق الخضراء المتراصة فى وداعة داخل الحقيبة ، وغمغم فى صوت مسموع هذه المرة ،

مجاهدًا لكبح جماح الشك الذى بدأ يتسلل إلى أعماقه فى جيوش زاحفة :

ـ بم تتعلق هذه الخدمات الأخرى إذن ؟!

أجابه (روس) مع نفثة دخان :

ـ بالحفرة أيضًا !

قال (أيمن) محاولا التغلب على اضطرابه :

ـ دعونى أوضح لكما أننى لا أفهم ما ترميان إليه بكل صراحة !

قالت (كيم) وهى تعتدل فى جلستها للمرة العاشرة تقريبًا :

ـ أولاً سنحتاج إلى إخلاء موقع العمل الليلة ..

انعقد حاجبا (أيمن) مع هتافه المستبعد :

ـ الليلة ؟!

هز (روس) رأسه أن نعم وأكمل :

ـ الآن كما يمكنك أن ترى ..

ـ لكن ..

حاول (أيمن) أن يفهمهما أن العمال قد لا يستطيعون التحرك بعد يوم شاقٍ ، وأن عملية تحضير المعدات للرحيل تستغرق وقتًا طويلاً ، وأن ..

ـ يجب أن يتم كل شيء قبل منتصف الليل ، سيد (أيمن) ..

قالها (روس) فى لهجة قاطعة ، وشعر (أيمن) باضطراب هائل لم ينقص أنملة ، حتى بعد أن قالت (كيم) :

ـ وكما ترى بنفسك ، فنحن نجيد تقدير المقابل المادى لأصعب المهام التى نطلبها ..

نظر (أيمن) إلى الدولارات الشاخصة نحوه ، وبعد هنيهة من الصمت والتفكير قال :

ـ قد تكون مهمة صعبة بالفعل ، لكنها ليست مستحيلة تمامًا ..

ـ جيد ..

قالها (روس) ، ثم أردف :

ـ .. لكن هذا ليس كل شيء !

جيوش الشك تواصل زحفها ، و(أيمن) تساءل بعد ازدراد ريق جاف :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟!

قالت (كيم) وأسنانها البيضاء تضىء من وراء ابتسامتها الجميلة :

ـ نحتاج إلى عودتك مع عمالك ومعداتك إلى هنا بعد يومين !

ـ يومين ؟!

جيوش الشك تزحف ، و(أيمن) أردف بعد ازدراد جفاف الريق :

ـ .. فيم عودتى إن لم يكن هناك بناء ما ؟!

لاح شبح ابتسامة على وجه (روس) وهو يقول :

ـ سيكون عليك أن تردم الحفرة الواسعة التى صنعتها هذه !

لم يستطع (أيمن) منع نفسه من الصياح :

ـ ماذا تقول ؟! أردمها ؟!

قالت (كيم) وهى تبدل وضع ساقيها المنعقدين :

ـ وتساوى الرمال بها كأنك لم تحفر شيئًا من الأساس !

ـ لكن ..

لم يجد (أيمن) ما يستدرك به أو يعترض ، وعاد ينظر إلى الدولارات الشاخصة نحوه من داخل الحقيبة المستكينة ..

الآلاف منها !

قال (روس) وهو ينهى سيجارته ويسحقها بقدمه :

ـ فكرنا الاستعانة بمقاول آخر فى الحقيقة ..

وقالت (كيم) جائلة ببصرها الطاغى على وجهه الذى رشح بالعرق :

ـ لكننا رأينا أنك أجدر من يمكنه القيام بهذه المهمة ..

(روس) :

ـ نأمل ألا نكون خاطئين ، سيد (أيمن) ..

و(كيم) :

ـ أعلم أننا لسنا كذلك !

و(أيمن) يفكر ويفكر ويفكر ..

يطلبون منه فى البداية أن يحفر حفرة ثم يطلبون منه بعدها أن يردمها ..

ترى ، ماذا يمكن أن يعنى ذلك ؟!

الدولارات تحدثه أنه لا شأن له بذلك .. وأن ..

قال (أيمن) أخيرًا :

ـ ليكن ..

وأن ..

ـ .. سأفعلها وأعود بعد يومين ..

وأن ..

ـ .. وسأردم الحفرة !

وأن من حكم فى ماله فما ظلم يا أخى !

تبادل (روس) و(كيم) نظرة عميقة ..

وابتسامة أعمق ..

وراحة كبيرة !

★ ★ ★

ميناء (العين السخنة) تحت جنح الليل البهيم ..

سفينة بضائع تفرغ حمولتها الضخمة من حاويات معدنية

موصدة على رصيف الميناء ، تحت أضواء كشافة كثيفة ، وعربات النقل تتقدم واحدة تلو الأخرى لتأخذ دورها فى التحميل ..

رائحة البحر والليل والهدوء النسبى ..

تقدمت عربة نقل لتأخذ دورها ، يقودها سائق بدين له ذقن سمينة غير حليقة تشبه قنفذا مصابًا بالتخمة ، لتتوقف أمام مشرف التحميل الممسك بقائمة طويلة ..

ـ جاهز للتحميل يا (جابر) ؟!

تساءل المشرف ، فهز (جابر) رأسه قائلاً :

ـ طبعًا يا بك ، (جابر) جاهز دائمًا ..

أشار المشرف إلى أربع حاويات منفصلة عن باقى الحمولة من خلفه ، هاتفًا فى لهجة عملية :

ـ ستقوم بحمل هذه الحاويات فى مقطورتى عربتك ، ثم تلحق بعدها بالقافلة هناك حيث تنطلقون معًا إلى ميناء (بور سعيد) .. هل هذا مفهوم ؟!

هز (جابر) رأسه فى قوة مبالغ فيها ، قبل أن يقول :

ـ بالطبع يا بك .. فاهم ، فاهم !

قال المشرف ملوحًا بالقلم الرصاص فى يده ، فى لهجة جدية مداعبة :

ـ إياك أن تنام فى الطريق يا (جابر) ..

ضحك (جابر) طويلاً ، قبل أن يتساءل رادًّا الدعابة :

ـ وهل هناك أفضل من نوم الطريق يا بك ؟!

وتقدمت عربته ذات المقطورتين إلى حيث تم التحميل ، مع تمام منتصف الليل تمامًا ..

وبعدها بساعة تقريبًا انطلقت قافلة سيارات النقل من ميناء (العين السخنة) فى جنوب سيناء إلى ميناء (بور سعيد) فى الشمال ..

انطلقت فى نظام ودقة ، وسارت الإطارات الضخمة فى الطريق الأسفلتى يتبع بعضها بعضًا فى الظلام الذى لا يبدده إلا أضواء المصابيح الأمامية القوية ..

تثاءب (جابر) ، ومد يده إلى المسجل لتندلع أغنية

صاخبة قادرة على منع سلطان النوم نفسه من النوم ، ومع هذا فقد كانت عيناه تنغلقان على الرغم منهما أحيانًا ..

مر وقت ، وكان (جابر) يعرف ما ينبغى عليه فعله بعد مرور هذا الوقت ..

خفف من سرعة عربته قليلاً ، واتخذ الجانب الأيمن من الطريق حتى أصبح الأخير فى القافلة السائرة ..

حيا جميع السائقين الذين مرّوا به ، والذين نظروا نحوه متسائلين عن سبب تخفيفه لسرعته ، وكانت هذه التحية التى ألقاها عليهم بمثابة : لاتقلقوا ، أنا وعربتى على مايرام ، فقط أريد أن أكون ألأخير فى القافلة لأسباب خاصة بى وحدى !

واحترم الجميع رغبته هذه ، فأصبح الأخير بالفعل ..

واصل (جابر) تخفيف سرعة القيادة ، حتى أصبحت القافلة بعيدة عنه نسبيًا ، مع ظهور ذلك المنعطف الذى تقوم عنده لافتة إرشادية تمثل سهمًا وعبارة (وسط سيناء) ..

وانعطف (جابر) على الفور فى اتجاه السهم ..

هكذا ينفذ الاتفاق كاملاً ، ويستحق المبلغ الذى قبضه هذا الصباح ..

عليه الآن فقط أن يقود لمسافة قصيرة ، حيث ينتظره صاحب سيارة النقل الذى سيتسلم منه العربة والحمولة ، ثم يمضى كل منهما إلى حال سبيله ..

مهمة سهلة ومقابل مادى مجز ، ما الذى يريده أكثر من هذا ؟!

فكر أن العملية لا تبدو متعلقة بشىء شرعى ، وأن مخاطرها ربما تكون جسيمة ، لكنه يجهل كل شىء بالفعل ، ولو حدث أن وقعت فى الأمور مخاطر فهو لا يتحمل من المسئولية إلا عدم التزامه بخط سير القافلة ، والباقى يتحمله أصحابه ..

مخدرات ؟!

ربما ..

أسلحة ؟!

أيضًا ربما ..

مجرد سلع بريئة لا يريد لها أصحابها أن تخضع للرسوم الجمركية حتى يصبح عائد بيعها أعلى ؟!

كل شىء جائز !

(جابر) لايعرف شيئاً ، وبعض الجهل نعمة كما يقولون ..

هاهو ذا يقود عربته فى الطريق الجانبى وحيداً ، بضعة كيلومترات أخرى ويسلم العربة بما فيها ويصبح حراً ..

بضعة كيلومترات أخرى فقط !

لكن ، يبدو أن بعض المخاطر الجسيمة ستقع فى الأمور يا (جابر) ..

لجنة تفتيش هنا ؟!

فى هذا الطريق المنعزل ؟!

إنها تنتظرك بالتأكيد !

أنت دون سواك ، ولتقع الواقعة السوداء فوق رأسك المسكين ..

هأنتذا تتقدم من اللجنة ببطء ، ضابط شرطة شاب يشير لك بأن تتوقف ، وأنت تعرف بأنك ستتوقف ، ربما كانت فيك عبر الدنيا لكنك لست من هواة الخروج الصريح على القانون ..

تقف العربة أمام اللجنة ، يسترعى الشرطى والعربات ذات القمم المضيئة انتباهك ..

يأمرك الضابط ـ ببعض الغلظة ـ أن تهبط من السيارة ومعك رخصتك ..

تمتثل ..

ترتعد فى وقفتك ، من على رأسه جرح يتحسسه !

رجال الشرطة والجنود يتكالبون على مؤخرة المقطورتين ..

ضعت يا (جابر) وضاع كل شىء ، هكذا تفكر وتندم بعد فوات الأوان ..

ضعت يا (جابر) وحكمت على أسرتك وأطفالك بالضياع ..

ماذا الآن ؟!

هاهو ذا الضابط الشاب يهرول إلى سيارته ، ويرفع جهاز اللاسلكى متحدثًا مع قيادته :

ـ تم العثور على البضاعة يا سيدى ..

ثم هاهو ذا ينظر إليك نظرة نارية ، قبل أن يتابع متحدثًا فى اللاسلكى :

ـ .. أجل ، تم القبض على السائق أيضًا ..

السائق ..

أنت ..

يا (جابر) !

★ ★ ★

٢ ـ بلياردو .. ومكعب .. ومترو أنفاق !

صالة بلياردو شبه خالية فى آخر شارع (جامعة الدول العربية) ، حى (المهندسين) ..

الإضاءة شحيحة ، والساعة تشير إلى الثامنة مساء ، والتلفاز مضبوط على قناة (ميلودى) التى تذيع أغنية أخرى من أغنيات (الراب) الزنجى الأمريكى ، بينما الرسائل القصيرة تتوالى أسفل الشاشة دون انقطاع ، والأرقام متناثرة هنا وهناك ..

الكرة البيضاء تنطلق لتحطم مثلث الكرات الملونة ، والكرة السوداء فى المنتصف تتحفز لإنهاء اللعبة فى أية لحظة بتصويبة خاطئة ..

اصطدام الكرات ، واحتكاك مكعب الطبشورة الأزرق بقمة العصا السحرية ، وكرة تسقط فى الجيب الصحيح .. وهتاف عصبى :

ـ (تو شوتس) !

أصوات .. وأصوات .. ودخان سجائر ..

وهاهو ذا الفتى يدخل أخيرًا واضعًا يديه فى جيبى بنطاله

الجينز الواسع ، الذى يهبط خصره لما أسفل البطن بمسافة غير هينة ..

فتى ممتلئ نوعًا .. فى الثامنة عشرة تقريبًا ، عيناه حائرتان ، تجولان هنا وهناك كأنهما تبحثان عن لاشىء ، والقبعة على رأسه تكبس على شعر طويل مجعد ، والـ (تى ـ شيرت) يعلن على صدره عشقه الأثير لـ (شاكيرا) !

دفع بكتفه باب الصالة الزجاجى دون أن تخرج يداه من مكانهما ، وتوقف محاذيًا الباب قليلاً ينظر ، حتى وقع بصره على الشاب الأصلع والأسمر إلى حد السواد ، الجالس يراقب دورًا ساخنًا أمامه ، والذى غمز له بعينيه نحو جهة ما ..

هز الفتى رأسه ، وسار إلى الجهة المشار إليها مخترقًا اللاعبين والمتفرجين والكرات الساقطة والمرتدة ، ورائحة (البانجو) الكثيفة الآتية من عدة جهات ..

توقف أمام بار صغير فى أحد الأركان ، وتأمل الأكواب المقلوبة والزجاجات الممتلئة والفارغة قبل أن يعبر المنضدة الرخامية ، ويتوقف قليلاً كأنه يفكر فى شىء ما ، أو يغالب تردده ، أو يتأكد من أن أحدًا لاينظر إليه (باستثناء الشاب الأسمر والأصلع الجالس بعيدًا بطبيعة الحال) ، المهم أنه فى النهاية دفع

بيده الجدار الضيق فى نهاية البار ، ودفع جسده فيه بخفة قبل أن يعود الجدار إلى مكانه ـ بكل براءة ـ كأن أحدًا لم يختف خلفه أبدًا ..

ووجد فتانا نفسه فى الغرفة الصغيرة المضاءة نسبيًا مقارنة بالصالة فى الخارج ..

إضاءة (نيون) ناعمة ، وموسيقى (الجيبسى كينجز) تنبعث من اللامكان ، ورائحة معطر جو نفاذة تملأ أنفه ..

ثم هناك تلك الفاتنة الجالسة على أحد المقعدين أمامه ، واضعة ساقًا فوق أخرى بما يظهر جمال الساقين وإغراءهما ، تبتسم فى نعومة من خلال طلاء الشفاه المتجانس لونه مع الرداء الأحمر ؛ الذى يبرز فتنتها أكثر ..

لم يستطع منع نفسه من أن يشهق انبهارًا بفتنتها ، ولم يكن فى وسعها منع نفسها من الابتسام ثقة بالنفس على الأقل ..

ـ أنت (مازن) إذن !

قالها ـ بالإنجليزية ـ ذلك الرجل الجالس على المقعد الآخر ، مضيقًا عينيه ـ الضيقتين فى الأصل ـ ليتفرس فى الفتى كأنما يمسحه ضوئيًا ، ثم إنه أشعل سيجارًا رفيعًا فى فمه بينما هز الفتى رأسه قائلاً :

ـ أجل .. أنا (مازن) ..

قالت (كيم) :

ـ تبدو فتى وسيمًا ..

حاول أن يبتسم لإطرائها لكن التوتر منعه ، فى حين قال (روس) بعد أن نفث دخان سيجاره ذى العبق النفاذ :

ـ الشجاعة أهم من الوسامة إذا تحدثنا عن الرجال !

نجح (مازن) فى أن يقول أخيرًا :

ـ هذا صحيح ..

لكنها خرجت منه دون أدنى قدر من الشجاعة المزعومة ..

قالت (كيم) متحدثة فى نعومة يلين لها الحجر :

ـ إن العمل الذى نريدك بصدده ، عزيزى (مازن) ليس صعبًا بالمرة ..

وجدها (مازن) فرصة لكى يقول :

ـ صديقى أخبرنى أنكما تريدانى فى عمل ، وأنا جاهز .. أنا أجيد العزف على (الجيتار) ، وأجيد الغناء باللغتين العربية والإنجليزية ، كما أن ..

(كيم) والنعومة المستحيلة :

ـ يا إلهى ، نحن نتحدث مع فنان هاهنا !

(روس) والجدية الجليدية :

ـ للأسف نحن لا نهتم بالمواهب الفنية بالمرة ..

ارتبك (مازن) ، وحاول أن يقول :

ـ فيم تريدانى إذن ؟! لقد تصورت أن ..

قاطعته نعومة (كيم) :

ـ نحن نمنح من يعمل معنا مقابلاً ماديًا مجزيًا ، يمكنك أن تبدأ به مشروعك الفنى الخاص كما أتخيل أنا !

ثم صرامة (روس) :

ـ ليكن ، هذه بداية جيدة بعد ما أضعناه من وقت ثمين ..

ابتلع (مازن) ريقه ثم قال فى صعوبة :

ـ لكن خبراتى محدودة فى أى مجال آخر .. لنقل بصراحة إنها شبه معدومة !

ابتسمت (كيم) وقالت كأنها قطة مدللة :

ـ هذه نقطة فى صالحك ، لو تعلم !

اختلط الأمر فى ذهن (مازن) الذى غمغم :

ـ فى صالحى ؟! كيف ؟!

هنا ضرب (روس) قلب الموضوع :

ـ انظر إلى هذا جيدًا .. (مازن) !

نظر (مازن) إلى يده اليمنى .. كان (روس) قد أخرج بها من جيب بنطاله مكعبًا صغيرًا ، مصمتًا ، فضى اللون ، يبدو ملفتًا للنظر إلى حد ما ..

ـ ما هذا يا سيدى ؟!

تساءل (مازن) مستفهمًا ، وأجابه (روس) بسؤال جليدى :

ـ ماذا يبدو لك ؟!

هز (مازن) كتفيه :

ـ لا أعلم ..

قالت (كيم) وقد راق لها السؤال :

ـ جرب حظك ..

نظر (مازن) إلى المكعب مليًا ، ثم قال فى النهاية مسلمًا :

ـ لا يبدو شيئًا ذا هوية محددة ..

نظرت (كيم) إلى (روس) فى رضا ، وقال الأخير مستطردًا :

ـ جيد .. لن تفيدنا معرفة هويته بشىء على الإطلاق ، لنتعامل معه على أنه شىء .. مجرد شىء .. عليك فقط أن تعرف كيف تتعامل معه على النحو الصحيح .. سيكفيك هذا ويزيد .. انظر يا (مازن) إلى وجهه الجانبى هذا .. ماذا ترى ؟!

أشار (روس) إلى حيث أراد ، واقترب (مازن) ناظرًا ليقول بخيبة أمل :

ـ لا أرى شيئًا ..

قال (روس) رافعًا ببنانه شيئًا ما من على جسم المكعب :

ـ هذا شريط لاصق .. سيتعين عليك أن ترفعه بسهولة هكذا حتى تتمكن من تثبيت المكعب فى المكان المحدد له !

لم يهضم (مازن) كلمات الرجل بسهولة :

ـ أثبته ؟! ما معنى هذا ؟!

قالت (كيم) متراجعة فى جلستها ، ومغيرة من وضع ساقيها :

ـ هذه مهمتك ، عزيزى (مازن) ..

ـ مهمتى ؟!

هز (روس) رأسه وسيجاره، ثم أجاب :

ـ أجل، ستأخذ هذا المكعب الآن وتلتزم بتثبيته فى المكان الذى نحدده لك !

آلاف الأفكار دارت فى رأس (مازن)، أفكار شنيعة كادت تدفعه للهرولة خارج المكان الذى اختنق بالرائحة بالنفاذة، لكن الرفيقين يعرفان جيدًا ما يفعلانه على ما يبدو ..

ـ تعال يا (مازن) .. اقترب ..

قالتها (كيم) وهى تمد يدها نحوه بمظروف مغلق ..

ـ .. إنه أجرك، ستتقاضاه مقدمًا !

دق قلب (مازن) فى عنف ..

ـ خمسة آلاف دولار أمريكى، عدًا ونقدًا ..

قالها (روس) من بين ضباب دخانه، فانتفض قلب (مازن) على وقع الرقم ..

مبلغ محترم حقًا، لكن عليه أن يتأكد أولاً ..

تقدم من (كيم) ومد يدًا مرتعشة إلى المظروف، وانتفخت

عيناه بالذهول عندما فضه ليجد داخله رزمة من الأوراق المالية، فئة المئة دولار لكل ورقة !

كل شىء حقيقى إذن، والمهمة ربما كانت سهلة ..

إن مبلغًا كهذا يستحق المخاطرة فى أى الأحوال ..

ـ أعتقد أن (مازن) موافق يا عزيزى !

قالتها (كيم) مخاطبة (روس) فى لهجة غامضة، فهز الأخير رأسه وقال :

ـ يبدو فتىً عاقلاً فى كل الأحوال، وهو ما يبعث الطمأنينة فى النفس حقًا !

تحكم (مازن) فى ضبط أنفاسه بصعوبة، وهوى السؤال من فمه كحجر ثقيل :

ـ أين سأضع هذا المكعب ؟!

ابتسمت (كيم) فى غبطة، أما (روس) فقد التمعت عيناه وهو يسحق بقايا السيجار الرفيع تحت حذائه بلا رحمة ..

وبكل قوة ..

وبرغبة عارمة فى الانتقام !

* * *

محطة مترو الأنفاق تحت الأرض ..

(أنور السادات) هو اسم الرئيس الراحل الذى أطلقوه على محطة ميدان (التحرير) ، حيث تتقاطع القطارات السائرة على خط (المرج ـ حلوان) فى الأعلى ، مع تلك السائرة على خط (شبرا ـ الجيزة) بالأسفل ..

ساعة المحطة تشير إلى الحادية عشر والنصف ، بقيت نصف الساعة تقريبًا على مرور القطار الأخير ، ولهذا يبدو الزحام محدودًا ..

السلالم الكهربائية تصعد حاملة الركاب إما إلى الخارج وإما لتغيير المحطات والمسارات ، ومنهم نستطيع تمييز رياضى ممشوق القوام صاحب رأس حليق ، وآخر نحيل له شارب كث أسفل أنفه يتحدث بصوت جهورى مجلجل ..

نعم ، إنهما هما (عمر زهران) و(نادر الشريف) !

كان الأخير يهتف حانقًا :

ـ هذا كثير يا (عمر) .. ليس إلى درجة مترو الأنفاق ..

قال (عمر زهران) باسمًا :

ـ وما العيب فى هذا يا (نادر) ؟!

هتف (نادر) وقد بلغا نهاية السلم الكهربى الصاعد من خط (الجيزة) بالأسفل :

ـ العيب أننا رجال أمن ، لا يليق بنا أن نستخدم وسائل المواصلات التى يستخدمها عامة الشعب !

اتسعت بسمة (عمر) وهو يقول ، كأنما يطربه حنق صديقه :

ـ لكننا فى النهاية من عامة الشعب هؤلاء يا عزيزى ..

غمغم (نادر) مؤنبًا نفسه وهو يحاول اللحاق بخطوات (عمر) الذى يسبقه :

ـ أنا المخطئ ، وما كان يجب أن أطاوعك فى موضوع الأمسية الشعرية المقامة فى الأوبرا هذا على الإطلاق ..

هز (عمر) كتفيه قائلاً :

ـ وأنا لم أكن لأضيع أمسية تكريم شاعر بقامة (أمل دنقل) لأى سبب من الأسباب ..

وأردف كأنما ليضايق (نادر) أكثر :

ـ .. وقد استمعنا إلى (محمود دوريش) بالمرة ..

هتف (نادر) فى عصبية :

ـ أنا لا أعرف أيهما يا (عمر) !-

ضحك (عمر) قائلاً :

ـ لماذا صحبتنى إذن ؟!

قال (نادر) وهو يجلس على المقعد البرتقالى لانتظار القطار القادم :

ـ أولاً لأنك خدعتنى وقلت لى إنك ذاهب بسيارتك ..

جلس (عمر) بجواره قائلاً :

ـ لم أخدعك ، لقد ذهبنا بها بالفعل لكنها تعطلت هناك ، لا أظن هذا ذنبًا اقترفته بأى حال من الأحوال !

تجاهل (نادر) قوله وتابع :

ـ ثانيًا لأنك خدعتنى مرة أخرى وقلت لى إن هذه الندوات تحضرها الكثير من الفتيات الجميلات .. وأنا لم أجد أى فتاة من الأصل لأقرر بينى وبين نفسى إن كانت جميلة أم لا !

ضربه (عمر) فى كتفه وقال :

ـ لا تحملنى ذنبًا لم أقترفه يا صاح .. ماذا أفعل إن كان حظك مع الجنس الآخر سيئًا هكذا ؟!

مط (نادر) شفتيه مغمغمًا :

ـ فى هذه صدقت !

وانتبه لوهلة فنظر إلى اللافتة التى تعلوه مباشرة ، فهتف :

ـ .. لحظة واحدة .. ما هذا ؟! نحن فى اتجاه (حلوان) !

قال (عمر) ببساطة لا حدود لها :

ـ طبعًا ، ما المشكلة ؟!

تردد (نادر) قبل أن يسأله :

ـ أليس من المفترض أن نركب إحدى العربات المتجهة إلى (المرج) ؟!

هز (عمر) رأسه بالنفى وقال :

ـ كلا .. من قال هذا ؟!

هرش (نادر) فى شعر رأسه قائلاً :

ـ إننا نسكن فى (مدينة نصر) لو لم أكن مخطئًا ، ومعنى هذا أننا نبتعد عن منازلنا كثيرًا إن لم أكن مخطئًا مرة أخرى !!

قال (عمر) بنفس البساطة التى لا تعرف حدودًا :

ـ ومن قال إننا عائدان إلى منازلنا الآن ؟!

هتف به (نادر) مندهشًا :

ـ إلى أين سنذهب إذن ؟!

ابتسامة :

ـ إلى (حلوان) يا عزيزى !

صياح :

ـ (حلوان) ؟! ولماذا (حلوان) ؟!

ـ حتى أحضر الميكانيكى الخاص بى ليرى ما أصاب سيارتى المسكينة من عطل ، ظننت هذا مفهومًا !

ـ أما كان من الممكن أن نؤجل ذلك حتى الغد ؟!

ـ تعرفنى ، أمقت الانتظار ..

ـ ألم تكن تستطيع الذهاب وحدك ؟!

ـ أستطيع ، لكنى أفضل الصحبة حتى لو كانت صحبة (نادر الشريف) ..

ـ ولماذا لم تخبرنى قبلها ؟!

ـ حتى لا تعد عدتك للهرب .. إننى أعرفك جيدًا ..

ـ هذا أكيد !

هنا وصل قطار مترو الأنفاق ؛ أحد القطارات الأخيرة ..

نهض (عمر) جاذبًا (نادر) من يده ، وهرول نحو الباب الذى انفتح لوهلة قصيرة ، ليصطدم فى الطريق بذلك الفتى المهرول هو الآخر دون أن ينظر أمامه ..

ـ آسف !

قالها (عمر) متوقفًا، لكن الفتى لم يرد، وواصل هرولته نحو الخارج كأنما يهرب من شىء ما، أو ـ للدقة ـ فإنه حقًا كان يهرب من شىء ما ..

فتى ممتلئ نوعًا .. فى الثامنة عشرة تقريبًا، عيناه حائرتان، تجولان هنا وهناك كأنهما تبحثان عن لاشىء، والقبعة على رأسه تكبس على شعر طويل مجعد، والـ (تى ـ شيرت) يعلن على صدره عشقه الأثير لـ (شاكيرا) !

ـ .. فتى غريب الأطوار !

غمغم بها (عمر) وهو يراقبه يبتعد إلى الحواجز المعدنية القريبة، فيدس تذكرته الصفراء فى جهاز الفحص، ثم يعبر مواصلاً هرولته إلى البعيد .. المجهول ..

ـ أسرع يا (عمر) قبل أن ينغلق الباب ..

هتف بها (نادر) وهو يتطوع بجذب (عمر) هذه المرة نحو الباب الذى بدأ رحلة انغلاقه السريع بالفعل، فى نفس اللحظة التى اندس فيها (نادر) ومن خلفه (عمر) ـ بمنتهى الخفة ـ إلى الداخل من خلاله ..

زفر (عمر) فى راحة، بينما اتخذ (نادر) طريقه على الفور نحو الجلوس ..

ـ هنا يا (عمر) ..

هتف بها (نادر) مشيرًا لـ (غمر) نحو المقعد الشاغر المقابل له، وفى هذه الأوقات المتأخرة يمكنك أن تجد أماكن كثيرة شاغرة تناديك، أما فى أوقات أخرى فهى معجزة فى عصر بلا معجزات أن تجد مكانًا للجلوس ..

لكن (عمر) لم يأت، ولم يجلس، ولم يرد ..

رآه (نادر) منشغلاً بالنظر إلى جهة ما، نظرات عميقة تعلوها تقطيبة لها معنى ..

ـ .. هل يوجد شىء ما خطأ ؟!

هتف بها (نادر) مراقبًا (عمر) المقترب فى بطء حريص من جدار العربة؛ التى بدأت رحلتها نحو المحطة التالية فى سرعة، فاهتزت براكبيها ..

اقترب (عمر) أكثر محافظًا على توازنه بصعوبة نسبية، ورآه (نادر) من مجلسه يحدق فى جسم ما ملصق بأعلى الجدار المهتز ..

جسم يشبه مكعبًا مصمتًا فضى اللون يبدو ملفتًا للنظر إلى حد ما ..

أو للدقة فهو مكعب مصمت فضى اللون ملفت للنظر حقًا ..

اقترب (عمر) منه واقترب ..

وأيقن (نادر) فى داخله أن المتاعب على وشك أن تبدأ ..

إن لم تكن قد بدأت بالفعل !

* * *

٣ ـ تهديد .. ونفايات .. واختفاء مهندس !

اندفع العميد (منصور حرب) عبر الباب الزجاجى لقسم التقنيات بمبنى الإدارة ، ناظرًا فى ساعة معصمه التى أشارت إلى ما بعد منتصف الليل ببضع دقائق ، قبل أن يزفر فى حرارة ملتهمًا الأرض بقدميه ، حتى دلفتا به إلى غرفة جانبية صغيرة ..

ـ آخر الأخبار بسرعة ..

قالها العميد (حرب) مخاطبًا موظف الاتصالات الجالس أمام آلات التحويل والمتابعة الكثيرة ، بسماعة دقيقة تحتل أذنه اليسرى ، فما كان من الأخير إلا أن أشار إلى سماعة هاتف مرفوعة على منضدة قريبة قائلاً :

ـ الرجل ما زال على الخط ، استغرق تحويل المكالمة من وزارة النقل والمواصلات إلى هنا أقل من ثلاثين ثانية ، وهو فى انتظار التحدث إلى الوزير شخصيًا بحسب طلبه !

رفع العميد (حرب) سماعة الهاتف مغمغمًا :

ـ أتعشم ألا يكون الشك قد راوده فى شىء !

قال الموظف وهـو يضغط أزرارًا متراصـة أمامـه بشكل يبعث على الارتباك :

ـ لا أظنه سيلاحظ ، فقد تم التحويل فى هدوء تام .. والآن ..

كانت سبابة الموظف متجمدة فوق زر بعينه وهو يردف :

ـ .. استعد للتحدث إليه يا سيدى ..

سأل العميد (حرب) فى سرعة قبل أن ينسى :

ـ هل توصلت إلى مصدر المكالمة ؟!

أجابه الموظف فى سرعة أكبر :

ـ ليس بعد فى الواقع ، لكنى فى طريقى إلى ذلك بإذن اللَّه ..

وضغط الموظف الزر أخيرًا مع هتافه المباغت :

ـ إنه على الخط الآن !

ألصق العميد (حرب) السماعة بأذنه ، واستهل المكالمـة فى توتر عارم :

ـ من معى ؟!

الصوت أجش ومحايد ، واللغة إنجليزية :

ـ هل أنت وزير المواصلات ؟!

قال العميد (حرب) محاولاً كبح جماح توتره :

ـ يمكنك اعتبارى هو لو أردت ..

الصوت محايد وأجش :

ـ ليس هذا وقت اللعب أيها السيد ..

قال العميد (حرب) فى حسم :

ـ أتفق معك ؛ لذا أرى أن تتحدث دون مقدمـات .. قلت إنك تتصل بنا من أجل خطر داهم ، ما هو وكيف عرفت به ؟!

الصوت غير طبيعى :

ـ فى الحقيقة هذه ليست مجرد مكالمة تحذير ..

ـ مكالمة ماذا إذن ؟!

تساءل العميد (حرب) وجلا ، فأجابه الصوت الخشن :

ـ يمكنك اعتبارها مكالمة تهديد .. ابتزاز لو أردنا الدقة !

دق ناقوس الخطر فى رأس العميد (حرب) وهو يتساءل مجددًا :

ـ هل لى أن أطمع فىالمزيد من الوضوح ؟

ـ بالتأكيد ..

واستطرد صاحب الصوت :

ـ .. الموضوع باختصار أيها السيد ـ سواء كنت الوزير أو أى مسئول آخر ـ يتعلق بشحنة تم ضبطها ليلة أمس فى صحراء (سيناء) ، شحنة مكونة من أربع حاويات تحمل بضائع غير شرعية لو لم يكن هذا مفهومًا يا سيدى ..

لم يكن العميد (حرب) على علم تام بالأمر ، لكنه قال :

ـ ما علاقة هذه الشحنة بالخطر أو بالتهديد الذى تتحدث عنهما ؟!

أجاب صاحب الصوت فى اقتضاب :

ـ علاقة وثيقة .. لقد صادرتم هذه الشحنة ، ونحن نريد استردادها ..

تساءل العميد (حرب) مرة أخرى :

ـ من أنت ؟! عمن تتحدث بالتحديد يا صاح ؟!

تجاهل الصوت سؤاليه ، وعاد يستطرد :

ـ أجر اتصالاتك يا سيدى مع المسئولين الأعلى منك ،

وأخبرهم أنه يتعين عليكم إعادة الشحنة إلى الباخرة التى تم إنزالها منها ، قبل شروق شمس اليوم الجديد ..

انعقد حاجبا العميد (حرب) وهو يتساءل :

ـ وماذا لو لم نفعل ؟!

ـ هنا يأتى دور التهديد الذى أتحدث عنه ، للدقة دور الابتزاز ..

ثم جنح صاحب الصوت إلى الاستطراد الثالث :

ـ .. ستنفجر إحدى عربات مترو أنفاق (القاهرة) مع أول خيط من ضوء الشمس ..

توترت عضلات يد العميد (حرب) القابضة على السماعة ، واختلجت فى وجهه عضلة قبل أن تتوالى على أذنه كلمات صاحب الصوت :

ـ .. ولك أن تتصور وقع ذلك على الجميع ، الناس والصحافة والسياح و .. أنت تعرف هذه الأمور جيدًا على ما أعتقد أيها السيد ..

لم يرد العميد (حرب) بكلمة ، واعتصرت قبضته السماعة حتى كادت تفتتها ، بينما ظل صوت المتحدث محايدًا وأجشَّ إذ قال :

ـ .. حظًّا سعيدًا أيها السادة المحترمون ، قد لا تسمعون صوتى ثانية إلا بعد أن تكون الشحنة قد أقلعت فوق الباخرة فجر اليوم .. أمسية سعيدة !

وانقطع الخط بينما عقل العميد (حرب) يعمل بأقصى طاقته ، لكن نقص المعلومات حال بينه وبين التفكير السديد ..

الوقت القادم سيكون محملا بالكثير ..

ـ هل توصلت إلى مصدر المكالمة ؟!

غمغم بها العميد (حرب) لموظف الاتصالات ، الذى هز رأسه يمنة ويسرة فى أسف قبل أن يجيب موضحًا :

ـ بكل أسف كان ذلك غير ممكن ، عميد (حرب) .. إن المتحدث يستخدم جهاز تشفير يجعل تعقب مكان المكالمة صعبًا إلا بعد ساعة تقريبًا من الاتصال ، وبمعرفة وتعاون فريق تقنيات كامل .. كل ما يمكننى قوله هو أنه يستخدم هاتفًا محمولاً موصلاً بالأقمار الصناعية ..

غمغم العميد (حرب) لنفسه :

ـ وهو يستخدم أيضًا جهازًا لتغيير الصوت ..

ثم إنه التفت إلى الموظف مرة أخرى سائلا ..

ـ .. هل يتحدث من (مصر) أو من خارجها على الأقل ؟!

عض موظف الاتصالات على شفته السفلى وهو يقول :

ـ ربما يتحدث من الشارع المجاور لنا وربما يتحدث من (كوالا ـ لامبور) .. لن نعرف أبدًا ما دام يستخدم جهاز تشفير !

عاد العميد (حرب) يغمغم :

ـ لقد أعد الوغد عدته جيدًا لكل شىء ..

وعاد يلتفت إلى الموظف قائلاً :

ـ .. أرسل رنة استدعاء إلى النقيب (عمر زهران) فى الحال ..

هز الموظف رأسه وقال :

ـ خمنت أنك ستطلب هذا ، عميد (حرب) .. لذا شرعت فى إرسال الاستدعاء إليه بالفعل ولكن ..

قطب العميد (حرب) وسأل :

ـ ولكن ماذا ؟!

أشار الموظف إلى آلة أمامه قائلاً :

ـ الرنين لا يصل ، كأنه فى مكان معزول نوعًا ما ..

قطب العميد (حرب) أكثر :

ـ معزول ؟!

هز الموظف رأسه إيجابًا :

ـ أجل .. تحت الأرض مثلاً !

★ ★ ★

توقفت الـ (هيونـــــداى) الخضراء أمام محطة مترو

(حدائق المعادى) ، وهبط منها على الفور العميد (منصور حرب) ، ومن المقعد المجاور له هبطت (دينا واصف) بجمالها الهادئ وانفعالاتها المتجمدة ، وانغلقت أبواب السيارة تلقائيًّا إثر ضغطة من العميد (حرب) على زر فى ميدالية مفاتيحه ..

بمنتهى السرعة توجه العميد (حرب) نحو بوابة المحطة ، التى تراصت أمامها صفوف جنود الأمن المركزى بأرديتهم السوداء وخوذاتهم والدروع ، ومن خلفه هرولت (دينا) فى محاولة بائسة يائسة للحاق بخطواته ..

الموقع يفور بالقلق غير المفهوم ، الجماهير متراصة على الجانبين بعيون وهمهمات تتساءل عن سر ما يجرى ، دون أن يسمح لهم بالاقتراب ، وهناك قطار مترو أنفاق بلونيه المميزين من أبيض وأزرق تبدو قمته للناظر من الخارج ، متوقف فى مكانه منذ ما يقرب من الساعة تقريبًا ، فيما يتم إخراج آخر ركابه الذاهلين عبر فرجة صغيرة بين صفوف الجنود ..

ساعة المحطة تشير إلى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، والعميد (حرب) يقف أمام ضابط الأمن المركزى الشاب مشهرًا بطاقته الأمنية المميزة غير القابلة للتزوير ..

بطاقة إدارة المهام الخاصة ، المكتب (١٧) ..

ـ الآنسة معك يا سيادة العميد ؟!

تساءل الضابط الشاب ناظرًا إلى (دينا) التى حملت حقيبة سوداء بيد ، فيما شهرت بيدها الأخرى بطاقتها الخاصة ؛ فى أبلغ رد ممكن على السؤال ..

ـ أجل ، نريد الدخول على الفور يا سيادة المقدم ..

قالها العميد (حرب) مراقبًا رتبة الضابط المميزة على كتفه بالنجوم اللامعة ، فتقدمهما الأخير هاتفًا :

ـ على الرحب والسعة ، إن هناك رجلين من إدارتكما فى الداخل بالمناسبة ..

هز العميد (حرب) رأسه قائلاً :

ـ أعلم هذا ..

(عمر زهران) و(نادر الشريف) ، صدفة غريبة فى موقع الحدث ..

عرف العميد (حرب) بوجودهما هنا من مكالمة هاتفية أجراها (عمر) له ـ عبر هاتفه المحمول ـ وهو ـ العميد (حرب) ـ يبحث عن معلومات خاصة بالمهمة الجديدة المعقدة ، فأصدر له أمرًا بالبقاء فى موقعه حتى يحضر إليه بنفسه ، على أن يتولى (عمر) إدارة الأزمة ويمنع أى شخص من مجرد الاقتراب من المكعب المشئوم ..

القنبلة الموقوتة ..

عبر العميد (حرب) السياج الأمنى وخلفه (دينا) ، وهتاف الضابط يتابعهما :

ـ ستجداهما فى غرفة الأمن الخاصة بالمحطة بالمناسبة ..

لم يجد العميد (حرب) الوقت ليشكره ، فقد مضى نحو الداخل فى سرعة و(دينا) من خلفه تجاهد لتوسيع خطوتها ، حتى احتواهما مبنى المحطة الصغير ليخفيهما عن أنظار من فى الخارج ..

يبدو أن (عمر زهران) قد أحسن التصرف كما توسمت فيه ، هكذا فكر العميد (حرب) وهو يطالع بعينيه الحادتين ـ كأنهما عينا صقر عجوز ـ المحطة الخالية من الناس تقريبًا ، والقطار الرابض فى استكانته بأبواب مفتوحة وقد خلا من أى ركاب ..

إخلاء الأماكن فى هذه الظروف الشائكة يبعث على بعض الطمأنينة ..

فقط لو يستطيعون احتواء الأزمة قبل وصولها إلى الصحافة ، لكنه حلم بعيد المنال بعض الشىء !

دلف العميد (حرب) إلى غرفة الأمن أخيرًا ، وهناك كان الشابان فى انتظاره ..

كان (عمر) يتحدث فى اللاسلكى الأمنى آمرًا :

ـ أخرجتم آخر الركاب ؟! هذا رائع .. افحصوا المحطة جيدًا لآخر مرة ، وبعدها أبعدوا الجماهير المتحلِّقة فى الخارج ، لا أريد أحدًا فى دائرة قطرها كيلومتر كامل على الأقل .. اجعلوا السكان يهبطون من بيوتهم إن استدعى الأمر ..

نهض (نادر) مؤديًا التحية العسكرية فى ثبات وهو يهتف :

ـ تمام يا سيادة العميد ..

تجاهل العميد هذه الرسميات ، وقال مخاطبًا (عمر) :

ـ اجعل قطرها كيلو مترين ، تحسبًا لأية ظروف ..

هز (عمر) رأسه فى تأمين ، وعاد يتحدث فى اللاسلكى :

ـ كيلومتران .. ليمتد الإخلاء إلى دائرة قطرها كيلومتران .. مفهوم ؟!

أتاه الصوت المشوش فى اللاسلكى :

ـ مفهوم يا سيدى ..

هنا استدار (عمر) واضعًا الجهاز على سطح المكتب ، وحيا القادمين برأسه قائلاً :

ـ أهلا سيادة العميد .. مرحبًا (دينا) ..

تجاوز كل منهما التحية ، وجلس العميد (حرب) بادئـًا الخوض فى الموضوع دون لحظة تأخير واحدة :

ـ اجلسوا فأمامنا عمل كثير، والأمر خطير فعلا ..

جلسوا بالفعل ؛ (دينا) و(نادر) و(عمر) الذى قال :

ـ المكعب قنبلة بالتأكيد يا سيدى ، عمل إرهابى آخر يستهدف أمن البلاد ..

هز العميد (حرب) رأسه مؤمنًا قبل أن يقول :

ـ هذا تقديرنا المبدئى ، سيصل بين دقيقة وأخرى خبير المفرقعات (محمد فتحى) ليمدنا بكل ما نحتاج إليه من معلومات حيال هذا المكعب الملتصق بجدار العربة ..

قال (نادر) :

ـ أعرفه ، إنه حجة فى هذا العلم ؛ علم المتفجرات أعنى .. لقد حضرت دورة تدريبية معه فى أثناء إعدادى للالتحاق بالمكتب ..

شبك العميد (حرب) كفيه قائلاً :

ـ المهم الآن أن ندرس ما لدينا من معطيات حتى نتصور خطورة الوضع من خلالها ..

تحدثت (دينا) لأول مرة قائلة ، وهى تخرج حاسوبها المحمول من حقيبته السوداء :

ـ أراهن على أن هناك من طلب شيئًا فى مقابل عدم تفجير القنبلة ..

قال العميد (حرب) :

ـ تكسبين الرهان يا (دينا) .. هناك بالفعل من يريد لىّ أذرعنا بحكاية التفجير هذه ، فقد تلقيت منذ ساعة واحدة ـ قبل أن تتصل بى مباشرة يا (عمر) ـ مكالمة تهديد من مجهول يطالب فيها بشحنة بضائع غير شرعية ضبطتها سلطات الأمن ليلة أمس ، فى مقابل عدم تفجير قنبلة فى عربة مترو أنفاق مع شروق شمس اليوم !

فرقع (عمر) بإصبعيه هاتفًا :

ـ هكذا تتضح الأمور إذن ..

وقطبت (دينا) متسائلة :

ـ أى نوع من البضائع هذه يا سيادة العميد ؟!

تراجع العميد (حرب) ليلامس ظهره الكرسى ، ثم تحدث قائلاً :

ـ هذا يستدعى أن نعود إلى بداية القصة ، منذ أسبوع تقريبًا ..

انعقد حاجبا (نادر) وهو يشير إلى القطار البادى خارج باب الحجرة متسائلاً :

ـ هل هذا المكعب ملصق بجدار العربة هنا منذ أسبوع ؟! أى تقصير أمنى !!

تجاهل العميد (حرب) تعليقه وانطلق مستطردًا :

ـ منذ أسبوع تقريبًا تقدم أحدهم لشركة مقاولات مصرية صغيرة ، بطلب عمل حفرة كبيرة على مساحة واسعة من أرض رملية بمنطقة وسط (سيناء) ، تحت دعوى أن هذه الأرض ملك لهم ، وتم دفع المقابل المادى مقدمًا فانطلقت

الشركة برجالها ومعداتها إلى هناك من أجل صنع هذه الحفرة .. غنى عن الذكر بالطبع أن الأوراق التى تم تقديمها إلى الشركة كانت مزورة ، فالأرض لم تكن ملكًا لأحد سوى الحكومة المصرية بطبيعة الحال ..

تابعته العيون المهتمة ، فأكمل :

ـ .. أنجزت الشركة عملها فى الوقت المحدد ، وكان هذا الوقت المحدد هو أمس حيث تم إخلاء موقع العمل تمامًا وعاد كل شىء إلى طبيعته ، لكن المهندس الشاب صاحب الشركة ـ ويدعى (أيمن جبارة) ـ تقدم إلى السلطات ـ فور عودته إلى (القاهرة) ـ ببلاغ رسمى فى سرية مطلقة ، وذلك بشأن شكوك دارت فى خلده حول المقاولة التى يتولاها ، خاصة أنه ـ بالأمس تحديدًا ـ قد تلقى عرضًا مغريًا بالعودة بعد يومين لردم الحفرة التى صنعها فى عمق الصحراء !

غمغم (عمر) :

ـ هذا مثير للشك حقًا !

وتابع العميد (حرب) :

ـ تم إجراء الاتصالات بسرعة ، وانطلقت سيارات الشرطة فى (سيناء) إلى الموقع المذكور ، وتم عمل لجان تفتيش على جميع الطرق القريبة من الحفرة ، حتى وقع الرجال على الصيد الثمين فجر أمس ..

تساءل (نادر) متذاكيًا :

ـ مخدرات ؟!

تجاهله العميد (حرب) من جديد ، واعتدل فى جلسته ليقول :

ـ هذا يقودنا إلى الطرف الآخر من القصة عند ميناء (العين السخنة) ، الذى يقع على مدخل خليج (السويس) فى الجنوب ، والذى يستقبل السفن العابرة من وإلى (قناة السويس) .. إن هناك بعض السفن التى لا تعبر القناة نظرًا لارتفاع رسم المرور ، وفى هذا الميناء تقوم هذه السفن بتفريغ حمولتها من حاويات ، ويتم تحميل هذه الحاويات على عربات نقل ثقيل ، دون أى تفتيش أو رسوم جمركية من أى نوع ، وهذه العربّات تقوم بنقل الحاويات عبر

الطرق البرية إلى ميناء (بور سعيد) فى الشمال ، حيث يتم تحميل الحاويات على سفينة أخرى تعبر البحر المتوسط إلى الجهة المطلوبة ..

قالت (دينا) وهو تهز رأسها فى تفهم :

ـ أى أن هذه الطريقة هى البديل البرى لعبور السفن من (قناة السويس) ..

قال (عمر) مقطبًا :

ـ قرأت عن هذا الأمر فى إحدى الصحف المستقلة ، كانوا يحذرون من أن هذا قد يقلل من الدخل القومى الوارد من (قناة السويس) إلى حد كبير !

هز العميد (حرب) كتفيه قائلاً :

ـ ليس الأمر بهذه الصورة القاتمة ، إنه طريق آخر للتجارة والنقل ، من شأنه أن يفتح فرص عمل جديدة وينعش الاقتصاد بشكل أو بآخر .. المشكلة الحقيقية تكمن فى انعدام الرقابة على الحاويات العابرة على الطريق البرى ، وعدم تمكننا من

مراقبة محتوى هذه الحاويات التى تعبر فى أراضينا .. وهو ما حدث أمس عندما اكتشفنا أربع حاويات تحتوى على نفايات ذرية أريد لها أن تدفن فى الحفرة الواسعة تحت أرض (سيناء) !

هتف (عمر) و(نادر) معًا ، فى دهشة بلا حدود :

ـ نفايات ؟!

أما (دينا) فقد انعقد حاجباها الجميلان دون أن تنطق بكلمة ..

زفر العميد (حرب) فى حرارة قبل أن يقول :

ـ كانت هذه هى الخطة من البداية ، نفايات ذرية تتبع إحدى الدول التى ترى فى العالم الثالث أرضًا مشاعًا لدفنها ، حتى لا يصاب سكانهم بالضرر من جراء ذلك ولنذهب نحن إلى الجحيم الذى يليق بأمثالنا !

تساءل (نادر) حانقًا :

ـ هل عرفتم هذه الدولة يا سيدى ؟!

أجابه العميد (حرب) :

ـ مازلنا ندرس مسار الباخرة التى حملت الحاويات ونجرى تحقيقاتنا الموسعة ، المهم أن نلحق بالخطر الماثل أمامنا هاهنا ..

تساءلت (دينا) وهى تتحسس مواطئ كلماتها فى عناية :

ـ وماذا يريدون فى مقابل تهديدنا بالقنبلة يا سيادة العميد ؟!

أجابها العميد (حرب) بعد إذ تنهد فى عمق :

ـ فى مثل هذه الظروف نتحفظ على الحاويات ، وننتظر أن تكتمل المعلومات والأدلة ثم نتقدم بعريضة شكوى إلى الأمم المتحدة نفضح فيها هذه الممارسات غير المشروعة دوليًا ، وتحدد بعدها الأمم المتحدة الطريقة المثلى للتعامل مع هذه النفايات ، التى لا ذنب لنا فى وجودها بين أيدينا .. هم يريدون أن يقطعوا علينا هذا الطريق المشروع بحكاية القنبلة هذه ، ويريدون استعادة حاوياتهم على نفس الباخرة التى أنزلتها ..

غمغم (عمر) فى سخط بالغ :

ـ الأوغاد !

اعتدلت (دينا) فى جلستها وبدأت أصابعها فى تشغيل الحاسوب بينما تقول :

ـ وكيف نتصرف الآن يا سيادة العميد ؟!

ـ سنتحرك على عدة محاور فى آن واحد ..

قالها العميد (حرب) ثم بدأ فى العد على أصابعه :

ـ .. أولاً : بالنسبة للقنبلة وكيفية التصرف معها فنحن مازلنا فى انتظار السيد (محمد فتحى) ليوافينا بالخبر اليقين .. ثانيًا : بالنسبة لمسألة إعادة شحن الحاويات فهى مازالت قيد الدراسة ، لن نستطيع خداعهم بشحنها فارغة مثلا ، ولن يسمح الوقت الحرج بصنع نسخ مطابقة منها .. الوقت يركض ونحن نلهث ! ثالثًا : تبقى مسألة هويات العاملين فى هذا المخطط ، الرجل الذى اتصل بى ، ومن اتفق على مقاولة الحفر فى (سيناء) ، ومن قام بزرع القنبلة فى جدار المترو .. وهذه أقرب النقاط التى يمكننا التحرك فى شأنها دون انتظار لما لا يجىء !

هتف (عمر) وقد برق البرق بين أفكاره :

ـ يجب استدعاء المهندس (أيمن جبارة) ، إنه أول الخيوط التى لا بد أن تتبع ..

يبدو أن البرق قد برق بين أفكار (دينا) أيضًا :

ـ والرجل الذى قاد عربة النقل الخاصة بنقل الحاويات ..

وأدلى (نادر) بدلوه :

ـ يجب أيضًا أن يتم استجواب طاقم الباخرة الراسية فى (العين السخنة) !

قال العميد (حرب) فى النهاية :

ـ أرسلنا فى استدعاء (أيمن جبارة) بالفعل ، وسائق العربة فى طريقه إلينا من حيث تم القبض عليه فى (سيناء) ؛ عبر مروحية تابعة للجيش ، أما طاقم السفينة فأعتقد أنه سيكون من الصعب بعض الشىء استجوابه ..

تساءل (عمر) فى بعض الاستنكار :

ـ ولم ؟! إنهم على أرضنا و ...

قطع العميد (حرب) استنكاره :

ـ لقد تم تبديل الطاقم ليلة أمس ، رحل الطاقم القديم فى سفينة أخرى وحل محلها طاقم آخر بربان آخر ..

هزت (دينا) رأسها فى تفهم قائلة :

ـ لقد أعدوا عدتهم لكل الاحتمالات ..

تساءل (نادر) :

ـ وهل سيتم الاستجواب هنا أم فى مقر الإدارة ؟!

تصاعد رنين هاتف العميد (حرب) المحمول ، الذى رأى رقم الإدارة مرتسمًا على الشاشة وهو يجيب :

ـ هنا ، ستتحول غرفة الأمن هذ إلى غرفة عمليات مصغرة !

ثم إنه قبل المكالمة على الفور :

ـ .. آلو .. نعم هو أنا .. ماذا ؟!!

صاح بها العميد (حرب) فلزم الجالسون من حوله الصمت ، ولازمهم التوتر بينما الأول يهتف بكل توتر :

ـ .. وكيف هذا ؟! (صمت) .. ثم ماذا ؟! (صمت) .. نعم .. نعم .. (صمت) .. وافنى بالجديد فى هذا الصدد بالذات أولاً فأولاً .. لا تدعنى أنتظر طويلاً .. اتفقنا ؟!

وأغلق العميد (حرب) هاتفه ، ناظرًا إلى الجالسين فى (صمت) !

وفى النهاية تحدث بمنتهى الاقتضاب :

ـ .. لقد تم اختطاف المهندس (أيمن جبارة) من مكتبه منذ ساعات قليلة !

ومنتهى الخطر !

★ ★ ★

٤ـ قتل .. وخبير .. وشاهد عيان !

الظلام الدامس ، والسكون الرهيب ، إلا من محرك سيارة تقترب فى اطراد ؛ مثيرة حولها عواصف من الغبار ..

أسفل عمود إنارة وحيد ، فى الساحة الواسعة ، ذات الأرضية الأسمنتية المصبوبة فى قوالب ، تقف سيارة أخرى - (فورد) أمريكية ـ ذات زجاج معتم ، وبلوحة أرقام هيئة دبلوماسية خضراء ..

السيارة المقتربة تبعث رسالة من الأضواء العالية وهى تدنو ، والسيارة الواقفة تجيب الأضواء العالية بأضواء عالية ، كأنها ترد التحية بأفضل منها ..

كل شىء هادئ فى تلك المنطقة البعيدة عن العمران ..

كل شىء لو استثنينا دوران المحرك المقترب ، وخفقان القلوب ، وهمس الأنفاس ..

توقفت السيارة المقتربة ـ (فورد) أمريكية أيضًا ، بلا لوحات أرقام معدنية بالمرة ـ أمام السيارة الواقفة ذات

الزجاج المعتم ، أسفل عمود الإنارة الوحيد ، وانطفأ محركها فيما ظلت الأضواء المتعالية متواجهة ، حتى انفتحت الأبواب ..

من السيارة الواقفة ألقىَ سيجار مشتعل ، سحقته قدم هابطة لرجل ثلجى الملامح ، تلمع عيناه ويلمع كل شىء آخر فيه ..

من السيارة الواقفة أيضًا هبطت الجميلة ذات الثوب السماوى الذى يخفى ويكشف ، كأنها ملاك بملامح بلاستيكية ، أو دمية بملامح ملائكية !

تحرك (روس) و(كيم) وخلفهما ظلان عملاقان حتى توقفا أمام السيارة الأخرى فى سكون ، وتحسس (روس) سلاحه أسفل سترته الأنيقة ليطمئن إلى أنه فى المتناول فى حالة ما إذا ...

من السيارة الأخرى هبط ثلاثة رجال ضخام ، تبدو آثار رفع الأثقال جلية على عضلات أذرعهم والصدر والأفخاذ المشدودة ، ملامحهم متشابهة نوعًا لكنك تستطيع التمييز بينهم بسهوله ..

ـ كل شىء على ما يرام ؟!

تساءل (روس) ، وأجابه سائق السيارة ـ أضخمهم ـ بلهجة أنجلو مصرية :

ـ كل شىء على ما يرام .. الأمانة فى صندوق السيارة ..
قالت (كيم) على الفور دون أن تستطيع صبرًا :

ـ دعونا نراها إذن ، وترانا ..

من لقطة علوية نستطيع أن نراهم جميعًا يتحلقون عند حقيبة السيارة الخلفية ..

مد أحد الرجال الثلاثة يده وفتح الحقيبة فى يسر ، وابتسمت (كيم) فى حين لم يبد على وجه (روس) أى انفعال كما توقعتْ ..

فى الحقيبة كان جسد المهندس (أيمن جبارة) ممددًا ، الأطراف الأربعة مقيدة بالحبال فى إحكام ، والفم تعترضه قطعة من القماش الذى يدور حول قذاله ، والنظرات فى عينية تحمل خوف الدنيا كله بالإضافة إلى الرغبة فى الموت السريع بدلاً من العذاب الطويل !

ـ ارفعـوه ..

قالها (روس) فى بساطة مشيرًا للرجال من حوله ، فتعاونوا على حمل (أيمن) المرتعد الغارق فى العرق والرعب ، وقد احترق جهازه السمبثاوى تقريبًا ، وأوقفوه أمام (كيم) الباسمة و(روس) المتحجر ..

قالت (كيم) وقد بدأت بعض الملامح الشيطانية فى التسلل إلى وجهها البرىء :

ـ ارفعوا الكمامة .. أريد أن أسمع صوته ..

فك أحد الرجال عقدة القماش التى تعترض فم (أيمن) ، فاصطكت أسنانه لكنه لم يجد القدرة على التفوه بحرف واحد .. لسانه لم يطاوعه ..

ـ هيا يا عزيزى ، تكلم ..

قالها (روس) ، لكن (أيمن) لم يستطع قول شىء .. لسانه لم يطاوعه من جديد ..

ـ أنت الذى أبلغت السلطات المصرية عنا ، أليس كذلك ؟

سألته (كيم) فى نعومتها التى شابهت نعومة حية رقطاء ، فارتعد (أيمن) أكثر ، وكاد يفعلها على نفسه ، لكنه تماسك فى اللحظة الأخيرة ..

ـ مـ .. ماذا تريدان ؟!

استطاع (أيمن) قولها أخيرًا ، فقال (روس) دون أن يطرف له جفن :

ـ لقد قبضت ثمن مهمتك قبل أن تشى بنا إلى الشرطة .. هل هذا صحيح أم لا ؟!

كاد (أيمن) يسقط ، لكنه تحامل على ذراعى الرجلين اللذين يكبلانه ، وقال متلعثمًا :

ـ يُـ .. يمكننى أن أعيد إليكم كـ .. كل الأموال التى قـ .. قبضتها ..

لوحت (كيم) بسبابتها قائلة :

ـ هذا لا يكفى يا عزيزى ..

وأردف (روس) :

ـ لقد تكبدنا بسببك الكثير من الخسائر الأخرى ..

هتف (أيمن) :

ـ لم أقصد السوء ، راودتنى بعض الشكوك فقط بشأن ضخامة المبلغ وردم الحفرة ، لكنى لم أقل عنكما شيئًا ، ولم أتهمكما بشىء !

تظاهرت (كيم) بالشفقة وقالت محدثة (روس) :

ـ أوه ، لقد اعترف الصبى المسكين يا عزيزى ..

وقال (روس) فى جموده المثلج محدثًا (أيمن) :

ـ كان يمكنك أن ترفض المبلغ عندما أتينا إليك ، وكان يمكنك أن تترك كل شىء يمضى فى أمان ، لكنك اخترت الطريق الصعب يا سيد (أيمن) .. وهو طريق مهلك بكل أسف ..

بكى (أيمن) قائلاً :

ـ لم أقصد شيئًا .. لم أقصد ..

ـ الفتى المسكين .. هلا أرحناه يا (روس)؟!

قالتها (كيم) وهى تتظاهر بالشفقة من جديد ، فأومأ (روس) برأسه ، وعلى الفور استل مسدسه من أسفل سترته ، وصوبه إلى رأس (أيمن) ..

ـ الوداع يا عزيزى ..

وانفجرت الرصاصة فـى رأس (أيمـن) ، ليخـر فـى أقل من لحظة ؛ صريعًا فوق قالب من الأسمنت ، بينما يتصاعد دخان البارود المحترق من فوهة المسدس ..

ـ .. ارقد فى سلام ..

نطق بها (روس) ثم نفخ الدخان المتصاعد من الفوهـة ، بينما رقت ملامح (كيم) المصطنعة أكثر وهى تهمس :

ـ الفتى المسكين ..

نقل أضخم الرجال بصره بين الجثـة ووجـه (روس) ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا عنا أيها السيد ؟!

سأله (روس) :

ـ ماذا عنكم ؟!

قال الرجل الضخم فى غلظة :

ـ نفذنا مهمتنا ونريد أجورنا ..

قالت (كيم) تلطف من غلظته قليلا :

ـ لا تقلق يا عزيزى ، ستنالون حقكم وأكثر ..

والتمعت عيناها إذ رمتا المسدس ـ فى يد (روس) ـ بنظرة مختلسة :

ـ .. وكما ترى بنفسك ، فنحن نجيد تقديرالمقابل المـادى لأصعب المهام التى نطلبها !

★ ★ ★

قال (جابر) ؛ سائق عربة النقل الثقيل :

ـ صدقونى أيها السادة هذا ما حدث ..

خاطبه العميد (حرب) بشىء من الغلظة قائلا :

ـ تريد أن تلقى باللائمة على صاحب العربة إذن ، لتخرج أنت منها كالشعرة من العجين !

هتف (جابر) فى صدق تجلى فى عينيه الحمراوين من أثر الإرهاق :

ـ أنا أقول ما حدث ، هو من طلب منى أن أفعل ما فعلته

لقاء مبلغ مالى كبير ، وأنا رجل أعول ولدى ابنة تستعد للزواج ، و .. أنت تفهمنى بالطبع يأسيدى !

سأله الضابط الشاب الذى كان واقفًا فى الجوار :

ـ وتريد حل مشكلاتك المادية بالخروج على القانون .. أليس كذالك ؟!

قال (جابر) فى قنوط :

ـ أعرف أن ما فعلت كان خروجًا على القانون ، لكنى لم أكن أقصد الضرر .. إنها الحاجة عندما تعضنا بأنيابها السامة يا بك ..

أشاح الضابط الشاب بيده هاتفًا فيه فى خشونة :

ـ هذا ليس عذرًا ..

وعاد العميد (حرب) يسأل الرجل فى صبر :

ـ ألم تر صاحب العربة يتفق مع أى رجل أو امرأة يبدو عليهما أنهما أجنبيان مثلاً ؟!

ـ يشهد اللّه أننى لم أر شيئًا يا سيدى ، ولو أننى رأيت فليس هناك ما يمنعنى الآن من ذكر الحقيقة كاملة غير منقوصة ..

قالها (جابر) قبل أن تنهال صفعة على وجهه من كف الضابط الشاب مع الصراخ :

ـ حاول أن تتذكر أيها الـ ...

قاطعه هتاف العميد (حرب) الصارم :

ـ كفى أيها المقدم ..

نظر المقدم إلى العميد (حرب) مذهولاً ومن عينيه يطل التساؤل ، فتابع العميد :

ـ .. اجعل أحد جنودك يصحبه إلى أمن الدولة ، وإياك أن تتعرض له بالضرب كما حدث أمامى الآن ..

غمغم الضابط الشاب كابتًا انفعاله :

ـ لكن يا سيادة العميد ، هكذا نعامل المتهمين دائمًا .. إنهم محض حثالة بشرية ..

نظر العميد (حرب) إلى السائق الذى يمسك وجهه بيده وفكر : لهذا يظلون حثالة دائمًا !

ـ افعل ما أقوله فى الحال ، هيا ..

هتف بها العميد (حرب) مشيحًا بوجهه ، فأومأ المقدم برأسه قبل أن ينصرف دافعًا (جابر) أمامه فى قسوة متعمدة ، في نفس اللحظة التى دلف فيها (عمر) إلى الغرفة ممسكًا بهاتفه المحمول ، ومتحدثًا فى خيبة أمل :

ـ النتيجة سلبية يا سيادة العميد ..

رفع إليه العميد (حرب) عينين متسائلتين :

ـ لم يعثروا على صاحب عربة النقل ؟!

استند (عمر) بكتفه إلى الحائط قبل أن يقول :

ـ بلى .. لم يعد إلى منزله منذ صباح اليوم ، ولم يعثر له على أثر فى أى من الأماكن التى يمكن أن يتردد عليها ..

صاح (نادر) من مجلسه بجوار (دينا) المنهمكة حتى النخاع فى العمل على الحاسوب :

ـ فعلوها به إذن ، كما فعلوها مع (أيمن جبارة) !

هز (عمر) كتفه مغمغمًا :

ـ ومن أدرانا أين يمكن أن يكون أى منهما الآن ؟!

نهض العميد (حرب) من جلسته خلف مكتب الأمن قائلاً :

ـ لا بد أن نتحرى هذه الأمور بأنفسنا ..

ضيق (عمر) عينيه سائلاً إياه :

ـ وكيف هذا يا سيادة العميد ؟!

قال العميد (حرب) :

ـ سنذهب إلى مكتب مقاولات المهندس (أيمن) ، الذى اختطف منه قبل قليل ..

قال (نادر) فى استياء :

ـ الغريب أن بلاغه للشرطة لم يحو الكثير عن مواصفات الرجل والمرأة ؛ اللذين كلفاه بمهمة الحفر فى (سيناء) منذ أسبوع .. لو كان اهتم بأمر كهذا لوفر علينا الكثير ..

وقالت (دينا) مشيرة إلى شاشة حاسوبها النقال :

ـ كل ما ذكره عنهما أن اسمهما على الترتيب (روس) و(كيم) ، وما زلت أبحث فى سجلات القادمين إلى (مصر) من الخارج خلال الفترة الأخيرة ـ عبر كل المنافذ الممكنة ـ عن اسمين يضاهيان هذين ، دون أن أجد حتى ما يقاربهما !

تساءل (عمر) :

ـ ومن يضمن لنا أن هذين اسمان حقيقيان ؟!

أطرق (نادر) مغمغمًا فيما يشبه اليأس :

ـ لا أحد ..

قال العميد (حرب) فى لهجة عميقة :

ـ أشعر بأننا سنجد مبتغانا فى مكتب المقاولات ..

ـ إلى هناك إذن يا سيدى ..

هتف بها (عمر) فى حماسة الأمل الأخير ، عندما أتى الصوت الهادئ عبر باب الغرفة :

ـ مساء الخير أيها السيدات والسادة !

نظر الجميع ـ بما فيهم (دينا) ـ إلى ذلك الواقف عند المدخل ، مكتنز قليلا ويرتدى ملابس كلاسيكية تنم عن ذوق رفيع ، بينما تختفى عيناه خلف نظارة أنيقة , ومن فوق كتفه الأيسر تتدلى حقيبة قماشية كبيرة نوعًا ومنتفخة بعض الشىء ..

ـ ماذا تريد أيها السيد ؟!

سأل (عمر) ، وكاد البقية يتكلمون ، لكن السيد سبقهم بالقول فى هدوء شابه بعض الوجوم :

ـ (محمد فتحى) ، خبير المفرقعات من المكتب ١٧ ..

ـ يجب أن ألتحق بدورة التعامل مع المتفجرات فور انتهاء هذه المهمة ياسيدى ..

قالها (عمر زهران) وهو يخترق السياج الأمنى إلى الخارج خلف، أستاذه الصقر العجوز ، وكان الأخير منشغلاً بمراقبة المروحية العسكرية الضخمة الرابضة أمام المحطة ، والتى أقلت سائق عربة النقل إليهم منذ قليل ..

وكان العميد (حرب) مستغرقًا فى التفكير العميق حتى إنه لم يرد على تلميذه ، وربما لم يسمع سؤاله من الأصل حتى يرد ، بل إنه ترك مقود السيارة لـ (عمر) حتى يقود ، بينما استرخى هو فى المقعد المجاور له ، وعقله يعمل بلا هوادة ..

* * *

ألقى (عمر) بنظرة أخيرة إلى الفوضى العارمة فى مكتب (أيمن جبارة) للمقاولات والاستشارات الهندسية ، قبل أن ينسحب إلى الخارج حيث يقف العميد (حرب) مع ضابط الشرطة ؛ المكلف بالتحرى فى حادث الاختطاف ..

كان الضابط يستطرد ساردًا :

ـ .. الجيران يقولون إنه فى حوالى الحادية عشرة مساء سمعوا صياحًا صادرًا من داخل المكتب ، وإنهم عندما خرجوا ليستطلعوا الأمر ، وجدوا ثلاثة رجال ضخام يحملون المهندس (أيمن) ويهددونه بالسلاح ، كما أنهم شهروا الأسلحة فى وجوه الجميع آمرين إياهم بالعودة إلى شققهم وإغلاق جميع الأبواب والنوافذ ، فلم يكن من المواطنين المذعورين إلا أن امتثلوا للأمر ، وطلب بعضهم شرطة النجدة على الفور ، فيما ابتعدت السيارة (الفورد) التى أتى بها الرجل مبتعدة بسرعة الصاروخ ..

ردد العميد (حرب) مغمغمًا كأنه يحدث نفسه :

ـ (فورد) ؟!

أسرع الضابط يقول :

ـ كانت بلا لوحة أرقام كما شهد البعض يا سيادة العميد ..

غمغم (عمر) متهكمًا :

ـ يبدو أن جميع السيارات تسير بلا لوحات معدنية هذه الأيام !

عقد العميد (حرب) ساعديه أمام صدره متسائلا :

ـ ألم تسألوا السكان عن الرجل والمرأة ، اللذيْن قال المخطوف إنهما كلفاه بمهمة الحفر فى صحراء (سيناء) ؟!

هز الضابط رأسه بالإيجاب ثم أجاب :

ـ فعلنا بالطبع يا سيدى ، لكن الجميع قالوا إن الكثيرين يأتون إلى المكتب ـ منذ سنوات ـ ويغادرونه ، دون أن يتذكر أحد زبائن لهم صفات محددة على الإطلاق ..

عاد (عمر) يغمغم لنفسه :

ـ نتيجة سلبية مرة أخرى ..

وعاد العميد (حرب) يسأل :

ـ ماذا عن الأوراق الخاصة بالعمل فى المكتب ؟! هل من أوراق خاصة بعملية الحفر نستطيع الاستدلال منها على أى شىء ؟!

هز الضابط رأسه بالنفى ثم أجاب :

ـ لا أوراق من هذا النوع تمامًا يا سيادة العميد بكل أسف ..

هبط العميد (حرب) وخلفه (عمر زهران) من أعلى البناية بخفى حنين ، وتجاوزا عربتى الشرطة إلى الـ (هيونداى) الخضراء على الرصيف المقابل ..

ـ ماذا الآن يا سيادة العميد ؟!

نطق بها (عمر) محاولاً استكناه ما يدور فى أعماق أستاذه ، ولم يكن ما يحاول استكناهه بالخير أبدًا ..

ـ لا أدرى ، نقيب (عمر) .. فى الحقيقة لا أدرى ..

قال (عمر) محاولاً التهوين من سوء الموقف :

ـ لا بد من خيط نتبعه ..

نظر العميد (حرب) فى ساعة معصمه قائلاً باستخفاف :

ـ إنها الثانية صباحًا الآن ، بقيت عدة ساعات وتضيع المهمة .. نخسرها بمعنى أصح .. الفشل ..

الكلمة التى يمقتها الجميع كالحجيم ، وربما أكثر !

ـ عذرًا أيها السيدان ولكن ..

التفتا إلى صاحب الصوت الواقف بجوارهما أسفل الطوار ، وعلى رأسه خوذة حمراء تخفى بعض قسماته ، بينما يجلس على مقعد دُراجة بخارية متواضعة ، ذات محرك دائر :

ـ .. أنتما من المباحث ، أليس كذلك ؟!

ضيق (عمر) عينيه ناظرًا فى وجه الرجل من خلف الخوذة :

ـ من أنت ؟! وكيف تعرفت علينا ؟!

ـ بسيطة جدًا ، سمعتكما تتخاطبان بلقبى سيادة العميد والنقيب (عمر) !

قال (عمر) وهو يحدق فى ملامح الرجل أكثر تحت ستار الظلام ، محاولاً سبر أغوار غموض الرجل برغم لهجته وثيابه :

ـ هذه إجابة سؤالى الثانى فقط ..

قال الرجل وهو يترجل عن دراجته البخارية التى ما زالت دائرة :

أنا أحد رجال المهندس (أيمن جبارة) ..

وخلع خوذته لتتبدى أسفلها ملامحه الأكثر بساطة من لهجته وثيابه :

ـ .. أعمل معه مساعدًا لسائق جرار .. أدعى (رمضان جزر) ، وقد كنت معه فى العملية الأخيرة فى (سيناء) ..

(رمضان) الذى لم يكن مستريحًا لكل ما كان يحدث !

ـ لعلك علمت بعملية خطفه يا (رمضان) ..

قالها العميد (حرب) فى شىء من الصرامة ، فهز البسيط رأسه بالإيجاب وقال :

ـ بل شاهدتها بأم عينى يا سيدى ..

مصعوقًا هتف فيه (عمر) :

ـ شاهدتها بعينيك ؟!

هز الرجل رأسه فى قوة أكثر حتى كادت تسقط من فوق كتفيه ، فيما قال له العميد (حرب) الذى نجح فى السيطرة على انفعاله ؛ بحكم السن والخبرة على الأقل :

ـ أخبرنا بكل شىء بالتفصيل يا (رمضان) ..

انطلق(رمضان) يروى كل شىء بالتفصيل :

ـ جئت منذ الحادية عشرة تقريبًا إلى المهندس (أيمن) .. إن بيننا عشرة عمر وعمل ممتد لأكثر من عشر سنوات ، وقد أتيت لأبوح لـه بشكوكى حول عمليتنا الأخيرة التى عدنا منها أمس ، وكانت تتعلق بحفرة كبيرة حفرناها فى وسط (سيناء) وتركناها .. لكنى فوجئت بمنظر اختطافه المروع قبل أن أقترب من البناية ، ولما كان الخاطفون يصوبون أسلحتهم فى جميع الجهات ، فقد احجمت عن محاولة إنقاذه ببطولة حتى لا أسقط مقتولاً برصاصة من رصاصاتهم ..

سأله العميد (حرب) كأنما يستحثه على المتابعة :

ـ وماذا فعلت عندها ؟!

ربّت (رمضان) على ظهر دراجته البخارية قائلاً :

ـ تتبعت السيارة مـن بعيد علـى متن دراجتـى البخاريـة العزيزة ..

هتف (عمر) مبهورًا :

ـ هذا رائع ..

وتساءل العميد (حرب) فى رباطة جأش :

ـ وعرفت أين انتهى بهم المطاف ؟!

هز (رمضان) رأسه من جديد وأجاب :

ـ بالطبع ، لقد ساروا فى سرعة جنونية نوعًا حتـى محطـة (طرة الأسمنت) ، وهنـاك دخلـت بهم السـيارة فى مخـزن عملاق لشركة ذات اسم أجنبى لم أتبينه جيدًا ..

ربّت (عمر) على كتفه قائلاً :

ـ لكنك تستطيع أن تقودنا إلى هناك .. أليس كذلك ؟!

هز الرجل رأسه فى صمت بليغ هـذه المـرة ، فيمـا تبـادل (عمر) مع العميد (حرب) نظرة ذات مغزى خاص جدًا ..

★ ★ ★

٥ ـ لكمات .. وانفجارات .. وقنبلة نووية !

عقرب الدقائق ـ فى ساعـة المحطـة ـ يقفز إلى ما بعـد الثانيـة والنصف بدقيقـة ، وفـى داخـل عربـة متـرو الأنفـاق الخالية ؛ يغمر الضوء كل شىء ..

المكعب الملتصق بالحـائط تنبثق منــه أسـلاك كثـيرة ، وتتخذ مساراتها المتعرجة لتصب فى الأجهزة المعقدة ؛ التى يعمل عليها بمنتهى التركيز والخبرة (محمد فتحى) ..

انعكس كل شىء على زجـاج نظارتـه العـاكس ، فيمـا نـد الهاتف من خلفه عن (عمر زهران) :

ـ ألم تنته بعد ، سيد (محمد) ؟!

أجابه الرجل فى اقتضاب :

ـ ليس بعد ..

سأله (عمر) من باب الفضول ، وهو يحدق فى المكعـب مليًا :

ـ لكنها قنبلة بالفعل ، أليس كذلك ؟!

ـ ليست لعبة أطفال كما هو الحال !

جواب سخيف ، لكن ربما كان السؤال أسخف .. هكذا فكر (عمر زهران) قبل أن يلتفتَ إلى العميد (حرب) ، المنهمك فى حديث هاتفى خافت ، بالقرب من باب غرفة الأمن ..

المحطة خاوية على عروشها انتظارًا للانفجار المجهول الآتى مع أول ضوء نهار ..

ماذا الآن ؟!

(نادر) عند مقعد الانتظار الحجرى يحشو مسدسه بخزينة الرصاصات ، و(دينا) ما زالت تعمل على حاسوبها داخل غرفة الأمن ، لا أحد يعرف ماذا تفعل بالتحديد لكنها تعرف بكل تأكيد ؛ إنها لا تحب أبدًا ألا تكون فى الحسبان كما عرف عنها طوال الفترة الماضية ..

السيد (محمد فتحى) منهمك فى العمل ، ويفحم المتطفلين عليه بعبارات يدركون بها مدى سخافتهم ، وهو - (عمر زهران) - العاطل الوحيد هاهنا عن العمل .. تقريبًا !

أغلق العميد (حرب) هاتفه المحمول أخيرًا ، واتجه إلى (عمر) سائلاً :

- جاهز ؟!

ابتسم (عمر) قائلاً فى حماسة :

- أنا دائمًا جاهز يا سيدى ..

ناوله العميد (حرب) هاتفه المحمول الذى أجرى منه المكالمة ، وقال :

- خذ هاتفك ، كنت أطمئن فقط إلى أن الحاويات فى طريقها لميناء (العين السخنة) الآن بالفعل !

تناول (عمر) الهاتفَ هاتفًا فى غير تصديق :

- ماذا تقول يا سيادة العميد ؟! هل سنعيد إليهم نفاياتهم الذرية ؟!

قال العميد (حرب) فى رصانة :

- يجب أن نكون على استعداد لأى احتمال ، نقيب (عمر) ..

كاد (عمر) يجادله ، لكنه عقلها بينه وبين نفسه للحظة ، قبل أن يطرق مغمغمًا :

- صدقت يا سيدى ، يجب أن نكون على استعداد لأى شىء لانحسب حسابه ، فلن يكون لأحد غيرنا وقتها ذنب فى هذا ..

ابتسم العميد (حرب) - وهو نادرًا ما يفعل - ثم قال :

لكننا سنفعلها بنجاح بإذن الله ، نقيب (عمر) ..

بادله (عمر) الابتسامة بأعرض منها، والقول بأقصر منه :

ـ بإذن اللّه (تعالى) !

هتف (نادر) من مجلسه البعيد على المقعد الحجرى :

ـ أنا الآخر جاهز ..

نقل العميد (حرب) بصره بينهما، قبل أن يقول :

ـ هلما بنا إذن ..

وهتف بـ (دينا) التى تركت حاسوبها لوهلة :

ـ .. وستوافينا (دينا) بالأخبار التى تستحق فى موعدها .. أليس كذلك ؟!

هزت الفتاة رأسها بالإيجاب هزة قصيرة، وعادت تنهمك فى عملها .. لكنها رفعت عينيها لتقول، دون أن تمنعها من النظر إلى (عمر) بالذات :

ـ خذوا حذركم وعودوا سالمين ..

ابتسم (عمر) وغمغم لنفسه :

ـ بإذن اللّه (تعالى) ..

وانطلق الثلاثة ..

الأستاذ والتلميذان ..

وكان (رمضان) ينتظر فى الخارج داخل الـ (هيواندى) الخضراء، بجوار مروحية الجيش الكبيرة التى لم تقلع بعد ..

★ ★ ★

(طرة الأسمنت) ..

مخزن واسع غارق فى الظلام، لا ينيره من الداخل إلا عمود إنارة وحيد، وتربض فيه سيارتان (فورد)، إحداهما بلا أرقام؛ والأخرى ـ ذات الزجاج المعتم ـ تحمل لوحات معدنية لهيئة سياسية ..

أشعل (روس) سيجارًا رفيعًا بقداحة ذهبية، وقبل أن يكمل نفسه الأول جذبت (كيم) السيجار من فمه، وسحقته فى منفضة السيارة هاتفة فى استنكار :

ـ لعلك لا تريد لنا أن نلحق بهؤلاء !

قالتها مشيرة إلى جثة (أيمن) الراقدة بعيدًا، وبجوارها جثث ثلاثة رجال ضخام متناثرة حول الـ (فورد) القريبة، التى لا تحمل لوحة أرقام معدنية ..

الدم يغرق المكان بلا حساب ..

وبلا رحمة ..

قال (روس) فى ضيق لم يُفقده بروده الثلجى :

- إنها سيجارة واحدة فحسب ، أعصابى لا تحتمل بالمرة ..

قالت (كيم) فى تهكم :

- لم أكن أعرف أنك مرهف المشاعر إلى هذا الحد يا عزيزى ..

- سأشعل واحدة أخرى وسأكون حريصًا ..

قالها وهو يهم بفعلها ، فأنبته كأم تعامل طفلها :

- هل نسيت أننا فى مخزن مواد قابلة للاشتعال ؟!

ولانت لهجتها عندما حدجها بعينيه الحادتين العميقتين كبحر بلا قرار :

- .. ثم إن كل شىء يسير على ما يرام حتى الآن ، والمصريون لا يزالون تحت رحمتنا فيما يتعلق بالقنبلة التى زرعناها فى مترو الأنفاق ..

غمغم (روس) بصوت مثل الريح الخافتة :

- صمتهم هذا لا يطمئننى ..

ابتسمت (كيم) قائلة :

- الصمت حيلة العاجز يا عزيزى .. ماذا بوسعهم أن يفعلوا أكثر منه ؟!

ورفعت نحوه هاتفًا محمولاً كبير الحجم نوعًا ، يغطى بوقه جهازًا آخر يضىء بالأحمر والأخضر ، قائلة :

- .. يمكنك إجراء مكالمة أخرى لأى مسئول تريده حتى يطمئن قلبك بعض الشىء .. إنهم لن يستطيعوا تعقبنا أو تحليل أصواتنا كما تعرف ..

أشاح عنها بوجهه قائلاً :

- لا أشعر برغبة فى هذا ..

واعتصر المقود بقبضته :

- .. أريد سيجارًا وإلا انفجر مخى !

ربتت (كيم) على كتفه قائلة :

- بعد قليل عندما يأتيك نبأ عودة الشحنة إلى الباخرة ستشعر بقليل من الأمان ، وسنستقل بعدها مروحيتنا المستأجرة إلى البحر حتى ..

هنا صدرت بعض الضجة من الخارج ..

- صه ..

قاطعها (روس) بها ..

كانت ضجة عابرة مكتومة ، لكنها أشعلت كل حواس (روس) ، وأنسته السيجار ورغبته فيه كما أنسته الدنيا بأسرها ..

تحسس مسدسه ، بقيت فيه أربع رصاصات لكنها تصلح لمواجهة الخطر أنى كان ..

ـ ماذا هناك ؟!

تساءلت (كيم) فى شىء من الوجل ، لكن (روس) ظل صامتًا يرهف السمع ، وعندما عاد كل شىء إلى سكونه فتح باب السيارة ، وترجل سائرًا فى سرعة وخفة ..

أخفته الظلمة عنها ، وكان هو ينظر عبر نافذة تطل على ساحة المخزن الخارجية ، إلى تلك الـ (هيونداى) الرابضة فى سكون ؛ أسفل جدار من الطوب الأحمر ..

سيارة لاتحوى إلا راكبًا واحدًا ، لا يتبين ملامحه فى الظلام بسهولة ..

وتحفز (روس) أكثر وأكثر ..

امتدت يده إلى صندوق الكهرباء المجاور لباب المخزن

الكبير ، ورفع السكين الرئيسى ليغمر الضوء المخزن كله ، ولتظهر فى طرفه تلك المروحية المستأجرة ، التى انتقل بها إلى غير مكان مع (كيم) ، طوال الفترة الماضية ..

نظر فى أنحاء المخزن ، وجد كل شىء هادئًا ولا ينم عن خطر ، حتى ..

حتى قفز الاثنان عبر فرجة فى سقف المخزن فجأة ..

(عمر زهران) و(نادر الشريف) فى مواجهة (روس) الذى شهر سلاحه فى وجهيهما بمنتهى السرعة ..

بمجرد أن لامست قدما (نادر) أرض المخزن انقض على (روس) ، فيما هرول (عمر) نحو الجثث ليرتعد فرقًا ومقتًا ، ولينظر إلى الحسناء الجالسة داخل (فورد) الهيئة السياسية مغالبة فزعها ومفاجأتها ..

ركل (روس) المسدس فى يد (نادر) ، ووجه إليه بمسدسه لكمة ساحقة فى الوجه أسقطت (نادر) أرضًا ، ليصوب (روس) المسدس إلى رأسه مباشرة ..

ويطلق الرصاصة ..

أما (كيم) فقد ابتلعت صدمتها بسرعة البرق ، واحتلت مقعد

القيادة مزمجرة فى غضب هادر ، تنافر مع ملامحها كل التنافر :

ـ كنت محقًا يا (روس) ..

أدارت المحرك وضغطت دواسة الوقود حتى لامست الأرضية ، فأطلقت الإطارات صريرًا مزعجًا قبل أن تنطلق إلى (عمر) الواقف بين الجثث ..

فى سرعة البرق ..

أطلق (عمر) رصاصتين حطمتا زجاج السيارة الأمامى ، لكنهما لم تصيبا (كيم) التى واصلت تقدمها بالسيارة نحو (عمر) ..

لم يجد (عمر) مفرًا من أن يهرول ركضًا ، لكن (كيم) لاحقته بالسيارة حتى توقف مسندًا ظهره إلى الجدار من خلفه ..

والسيارة تدنو منه إلى حد الملامسة ..

أصابت رصاصة (روس) الأرض الأسمنتية عندما تحرك (نادر) متدحرجًا فى سرعة خارقة ، وقفز واقفًا بنفس السرعة موجهًا ركلة إلى وجه (روس) طوحته إلى الوراء ..

لكنه ظل قابضًا على مسدسه ..

ومن سقطته على الأرض الأسمنتية ، أطلق (روس) رصاصة أخرى على رأس (نادر) ، فى الهدف تمامًا هذه المرة ..

(عمر) قرر أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم ، فألقى بنفسه قفزًا فوق مقدمة السيارة ، وتحركت قدماه فوق سطحها بمنتهى السرعة ، ملقيًا بنفسه فوق قمتها ..

وجدت (كيم) نفسها على موعد أكيد مع الارتطام بالحائط فصرخت فى فزع ، وصرخت أكثر عندما امتدت يد (عمر) من أعلى لتدير المقود بعيدًا عن الحائط ، فاصطدم جانب السيارة فقط بالجدار مصدرًا شررًا كهربيًا عنيفًا ، قبل أن يرى (عمر) و(كيم) معًا أنهما مقبلان على الارتطام ببراميل كثيرة ..

آثر (عمر) السلامة وقفز ، أما (كيم) فلم يكن فى وسعها منع السيارة من الارتطام ..

أو منع نفسها من فقدان الوعى ..

وثب (نادر) فى الهواء مكورًا نفسه كلاعبى الجمباز ، فتفادى الرصاصة الثانية ، وألقى بنفسه على صدر (روس) الذى لم يعد هناك ، إذ تحرك متدحرجًا بدوره على الأرض ،

فاستقبل (نادر) الأرض متألمًا ، وأخذ يتلوى فيما صوب نحوه (روس) المسدس ، واثقًا من مكمن الرصاصة هذه المرة ..

لولا ..

ـ الوداع أيها اللعين !

لولا ركلة من قدم (عمر زهران) أطارت المسدس من يده ، ولكمه بعدها فى وجهه ـ من قبضة (عمر) أيضًا ـ حطمت سنًا له ..

لكنها لم تسقطه أرضًا ، وظل (روس) ينظر إلى (عمر) مزمجرًا ؛ بفم يملؤه الدم ..

حاول (روس) توجيه لكمة مماثلة إلى (عمر) ، لكن الأخير استقبل لكمته على ذراعه ، وكال له لكمة ثم أخرى ، بكل المقت الذى اعتمل فى نفسه من مرأى الجثث ..

صحيح أنه يكره العنف ، لكن العنف وحده يفل العنف ..

ليت العالم يتمتع بهذه المثالية التى نقرؤها لدى أبطال الروايات !

لكمة ولكمة ثم لكمة ..

وسقط (روس) بعدها بلا حراك ..

هرع (عمر) إلى (نادر) الساقط أرضًا :

ـ أأنت بخير ؟!

هز (نادر) رأسه فى ألم وهو يقول :

ـ أجل ، بخير لو تجاوزت عن هذه النيران المشتعلة فى عظامى ..

هنا دوى هدير المروحية ..

نظر (عمر) نحو المروحية الصغيرة فى ركن المخزن ، ورأى السقف المفتوح الذى تعبر من خلاله ، كما تمكن من خلال نظرة سريعة إلى السيارة الـ (فورد) الخالية بين أكوام البراميل أن يدرك هوية قائدها ..

للدقة قائدتها ..

ـ لن تهربى أيتها الشيطانة ..

غمغم بها (عمر) لنفسه ، وحمل مسدس (روس) الذى سقط منه ، والذى يحوى رصاصتين فقط ليس إلا ، مصوبًا فوهته نحو ذيل المروحية المقلعة إلى أعلى فى اطراد ..

وأطلق رصاصة ..

طاشت الرصاصة ..

ـ اللعنة !

دمدم بها (عمر) ، ثم أطلق رصاصة أخرى لم تصب هدفها أيضًا ..

سيحتاج إلى تمرينات رماية مكثفة فيما بعد ، بعد أن تهرب هذه الشيطانة التى لها ملامح الملائكة البريئة ..

ضغط أسنانه فى حنق ، وهو يراقب المروحية التى بلغت فتحة السقف تقريبًا ، ثم ..

ثم رأى العميد (منصور حرب) واقفًا عند النافذة العلوية ..

كيف تسلق إليها ؟!

إن لياقته خارقة حقًّا بالمقارنة بعمره ..

العميد (حرب) يصوب مسدسه إلى ذيل الطائرة ..

يده ثابتة لاترتعش ..

والفرصة أخيرة ..

والرصاصة ..

طراخ ..

تصيب هدفها محطمة مروحة الذيل ، فتتهاوى المروحية من حالق ، وتتحطم بين البراميل الكثيرة التى تحمل على جوانبها شعارًا واضحًا ..

ـ « قابل للاشتعال .. » !

النيران تندلع ، صراخ (كيم) غير محتمل ، و(عمر) يحمل (نادر) بين ذراعيه ..

العميد (حرب) يراقبهما من أعلى ..

يندفع (عمر) حاملا (نادر) عبر باب المخزن ..

موصد ..

النيران تلتهم كل شىء ، والانفجار أقرب من قريب ..

(عمر) يتجه إلى النافذة الزجاجية ، يحطمها بكوعه ، يخرج مع (نادر) بحركة بهلوانية تحتاج إلى رشاقة وليونة ..

اطمأن العميد (حرب) عليهما ثم قفز عبر نافذة المخزن العلوية ، وعبر سلالم جانبية هبط مهرولا ، واجتمعوا فى السيارة بقيادة العميد (حرب) ، تتابعهم نظرات (رمضان) البسيطة فى ذهول ، بلسان معقود ..

ربط العميد (حرب) حزام الأمان ، فانطلقت الـ (هيونداى) مبتعدة فى سرعة مهولة ، مع الانفجار المتسلسل المدوى من خلفها ..

الانفجار العظيم ..

المميت ..

الـ ..

★ ★ ★

شعرت (دينا واصف) بالحنق لكونها صفرًا على اليسار فى هذه العملية ، ولكونها لم تحقق بحاسوبها الذى تعمل عليه فى انهماك شيئًا ملموسًا حتى الآن ..

كل شىء يسير بدونها على خير ما يرام ، وهذا يحنقها بشدة ..

لماذا جاءت إذن ؟!

كانت هذه الأفكار السوداء تطاردها عندما اندفع (محمد فتحى) إلى الغرفة الصغيرة ، وعلى وجهه أقصى أمارات التوتر وعرق غزير :

ـ أريد التحدث إلى العميد (حرب) على الفور ..

سألته وقد استشعرت سخف كلماتها الثلاث بعد فوات الأوان :

ـ هل جد جديد ؟!

ـ بالطبع ..

وازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، قبل أن يردف :

ـ .. تستطيعين وصف الأمر بأنه كارثة بضمير مستريح ..

رفعت هاتفها المحمول ، وضغطت الرقم سائلة إياه :

ـ هل ستنفجر القنبلة الآن أم ماذا ؟!

هز رأسه بالنفى وأجابها :

ـ كلا ، أسوأ ..

سمعت رنين هاتف (عمر) على الجانب الآخر ، لكن حديث خبير المفرقعات استرعى انتباهها أكثر ، فسألته عابسة :

ـ ما الأسوأ من هذا ؟!

أجابها وهو ينظر فى ساعة المحطة التى أشارت لتمام الرابعة فجرًا :

ـ ما زال أمامنا ساعتان حتى تنفجر ، لكننا عاجزون عن منع هذا الانفجار !

سألته فى وجل يتعاظم :

ـ ماذا تعنى ؟!

وأجابها فى خوف يتزايد :

ـ أعنى أننا نتعامل مع قنبلة نووية مصغرة هاهنا ..

انشل لسانها بعد قوله ، حتى بعد انفتاح الخط على الجانب الآخر مع هتاف (عمر) :

ـ آلو .. آلو .. (دينا) ؟! أين أنت ؟! هل أنتِ معى على الخط ؟! آلو !!!

★ ★ ★

٦ـ إسعاف .. وفكرة .. وعربة معلقة !

رمق (عمر) ـ عبر نافذة الغرفة الأمنية الصغيرة ـ (نادر) الراقد على محفة ، وهناك من يدفعه داخل عربة الإسعاف ـ الواقفة بجوار (الهيونداى) الخضراء والمروحية العسكرية الضخمة المستعدة للإقلاع أمام محطة المترو ـ ثم يغلق بابيها خلفه ، وقد عض شفتيه ؛ نادمًا فى قرارة نفسه على أنه ليس بجوار صديقه الذى انكسرت ساقه وذراعه مرة واحدة منذ قليل ، ثم التفت إلى الواقفين داخل الغرفة مستمعًا إلى العميد (حرب) ، الذى سأل مستفهمًا :

ـ ماذا تعنى بقنبلة نووية ، سيد (محمد) ؟!

أجابه (محمد فتحى) وقد تغلب توتره على هدوئه :

ـ أعنى المعنى الحرفى للمصطلح ، عميد (حرب) ..

واستطرد مفسرًا :

ـ .. هذا المكعب الملصق بجدار العربة يحوى داخله كمية لا بأس بها من اليورانيوم المشع الموصل بدائرة كهربية عادية ، وعدادًا زمنيًا ينتهى بالانفجار الحتمى بعد أقل من ساعتين من الآن ، مع شروق الشمس حسبما أظن ..

سألت (دينا) وقد انغلق حاسوبها النقال أخيرًا :

ـ وكيف لا يمكنك إبطال مفعول هذه القنبلة ؟!

أجابها (محمد فتحى) :

ـ لأنها مصنوعة بطريقة مبتكرة بالفعل .. إذا قمنا بنزع المكعب من مكانه فإن دائرة التفجير سوف تنغلق تلقائيًا وتنفجر القنبلة على الفور ، كما أن المكعب من الخارج مصمت ومصنوع من معدن قوى ، إذا حاولنا اختراقه فسنرفع درجة الحرارة فى داخله ، مما سيؤدى إلى انفجار حرارى محدود ؛ سيؤدى بدوره إلى كارثة نووية !

تدخل (عمر) قائلاً :

ـ الكارثة الحقيقية هى أن نشهد انفجارًا نوويًا كهذا هنا فى قلب حى (المعادى) ، حتى لو كان انفجارًا محدودًا .. يجب أن نفعل شيئًا بدلاً من وقوفنا مكتوفى الأيدى هكذا ..

سأله العميد (حرب) مضيقًا عينيه :

ـ ماذا تقترح فى هذا الصدد ، نقيب (عمر) ؟!

ارتبك (عمر) دون أن يحر جوابًا ، ثم أسعفته قريحته بأن يقول فى النهاية :

ـ لا أدرى فى الحقيقة ..

ونظر إلى (محمد فتحى) متابعًا :

ـ ..أنا لست خبيرًا فى هذه الأمور ..

نظر الثلاثة إلى (محمد) الذى قال فى أسف :

ـ بكل أسف ، لا مفر من وقوع الانفجار ..

قالت (دينا) فى فزع لانت له ملامحها قليلا :

ـ أنت تتحدث عن انفجار نووى !

ـ أعلم هذا ..

قالها الرجل ، ثم أردف فى بصيص من أمل بعيد :

ـ .. لكن يمكننا أن نتصرف على هذا الأساس لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

ضاقت العيون فى تساؤل ، وقال العميد (حرب) :

ـ ماذا تعنى بالتحديد ؟!

فسر (محمد فتحى) قائلا :

ـ أعنى أنه يمكننا نقل الانفجار إلى مكان آخر معزول عوضًا عن قلب حى (المعادى) ، فبهذا يمكننا احتواء الكارثة ومعالجتها بطرق أكثر فنية ..

غمغم (عمر) كأنه يهضم الفكرة :

ـ نقل الانفجار ؟!

وغمغم العميد (حرب) مخاطبًا (محمد فتحى) ، وهو يداعب ذقنه المدببة بأصابعه المضمومة :

ـ أنت تتحدث عن النقطة (جـ ١٣) إذن ..

ـ بالتحديد يا سيدى ..

لم تفهم (دينا) ما يتحدثان عنه ، لكنها فهمت المعنى العام للفكرة ، أما (عمر) الذى فهم كل شىء فقد تساءل وهو يفكر بأقصى طاقته الذهنية :

ـ وكيف يمكننا نقل عربة مترو كاملة إلى النقطة (جـ ١٣) ؟!

قال (محمد فتحى) وقد استرد هدوءه نوعًا ما :

ـ باستخدام الهواء .. هذا هو أبسط الحلول ..

ـ ماذا تعنى ؟!

تساءل (عمر) ، وأجاب (محمد فتحى) :

ـ يمكننا ربط قمة العربة بقاع مروحية ثقيلة مثلاً ، وبصفتى

مهندسًا أستطيع أن أحدد نقاط التعليق بدقة بحيث تتم المهمة بكل النجاح ..

هتف (عمر) مستنكرًا :

ـ لكن هذا غير ممكن عمليًّا ..

تلاقت عنده الأعين ، ففسر عبارته بقوله :

ـ .. أتحدث عن الوقت .. إن الرحلة من هنا إلى النقطة (جـ ١٣) تستغرق وحدها قرابة نصف ساعة ، ماذا عن إعداد مروحية وتعليق العربة بها فى حين أن أمامنا ما يقل عن الساعتين حسبما قلتم منذ قليل ؟!

أشارت (دينا) إلى النافذة التى تراءت من خلالها مروحية الجيش المرتفعة إلى السماء قائلة :

ـ لن يستغرق حضور المروحية وقتًا ، إن لدينا واحدة بالفعل ..

نظروا إلى المروحية ، وهتف العميد (حرب) :

ـ صدقت يا فتاة .. إنها لدينا بالفعل ..

وانطلق خارجًا ، فى حين غمغم (محمد فتحى) فى طمأنينة نسبية :

ـ هذا سيوفر الكثير من الوقت ، لا أتحدث عن المجهود بالطبع ..

أما (عمر) فقد أخذ ينظر إلى (دينا) نظرات ملؤها الغيرة الممتزجة بالإعجاب ..

وربما ما هو أكثر ..

★ ★ ★

مرت ساعة تقريبًا ، وابيضّت السماء فى الأفق ..

هدرت المروحية أعلى محطة مترو (حدائق المعادى) ، وأعلى عربة المترو الوحيدة وقف (محمد فتحى) و(عمر زهران) يختبران متانة السلاسل الحديدية الممتدة من قمة العربة إلى قاع المروحية ..

ـ كل شىء على ما يرام ..

هتف بها (محمد) ، وقال (عمر) فى خفوت ضاع مع هدير المروحية :

ـ أتعشم هذا ..

نظرات العميد(حرب) تتابع الموقف من على رصيف

المحطة ، وبجواره (دينا واصف) التى ما تزال حانقة على سلبيتها ..

هبط (محمد فتحى) ثم (عمر زهران) السلم الخشبى من أعلى العربة إلى الرصيف وابتعدا مسافة كافية ، ثم بدأت رحلة الصعود ..

بدأت عربة المترو تعلو عن الأرض ..

وتعلو ..

فارقت العجلات قضبانها الحديدية ، ارتفعت المروحية أكثر وارتفعت العربة أكثر ، وحلق الاثنان فى السماء مبتعدين كطائرين مهاجرَين ..

قال (محمد فتحى) :

ـ يجب أن أكون فى استقبال العربة عند النقطة (جـ ١٣) حال وصولها ..

أشار له العميد (حرب) بإصبعه :

ـ دعنى أوصلك ..

ونظر إلى (دينا) ، و(عمر) :

ـ لأوصلكما فى طريقى أيها الشابان !

مضت (دينا) ، واعتذر (عمر) :

ـ يجب أن أكمل رحلتى إلى (حلوان) من أجل الميكانيكى الخاص بى .. أعتقد أن عربات المترو ستعمل الآن بشكل طبيعى ، أليس كذلك ؟!

★ ★ ★

النقطة (جـ ١٣) ..

مخزن كبير فى مساحة شاسعة من الأرض الفضاء ..

المروحية تقترب والعربة المعلقة ، فى حين تتوقف أمام المخزن سيارة (هيونداى) خضراء اللون يقودها صقر عجوز ، ويترجل من داخلها خبير مفرقعات ..

تنفتح أبواب المخزن ..

تدلف المروحية والعربة إلى الداخل ..

دقائق وتخرج المروحية وحدها ..

تنغلق أبواب المخزن ..

يستريح قلب الرجل العجوز أخيرًا ..

قد نفقد عربة مترو فى انفجار محدود داخل المخزن

المعزول ، لكن هذا أفضل بكثير من أن نفقد الآلاف من جراء انفجار نووى رهيب ..

نظر إلى (محمد فتحى) الواقف بجواره ، ونفحه ببسمة امتنان ..

لكن (محمد فتحى) لم يبتسم ..

لقد أدى واجبه ..

والسلام ..

★ ★ ★

الشمس تتوسط سماء (القاهرة) وتطل من نافذة مدير المكتب ١٧ ..

ـ هذا ما كان ليلة أمس يا سيدى اللواء ..

اللواء (عفت حفنى) يستمع مع فنجان القهوة الصباحية ، والعميد (منصور حرب) قد فرغ من رواية القصة بحذافيرها على مسامعه ..

الصقر العجوز يتابع :

ـ .. بالنسبة لـ (روس) و(كيم) المزعومين فقد

استخرجنا جثتين متفحمتين لهما من أثر انفجار البارحة فى (طرة الأسمنت) ، ولم نعثر على أى أوراق رسمية تفيدنا بشأن هويتهما الحقيقية ، أو كيفية دخولهما البلاد ، أو ...

قاطعة اللواء (حفنى) سائلا :

ـ ماذا عن المخزن الذى كانا يختبئان فيه ؟!

أجاب العميد (حرب) وقد ذكر كل التفاصيل جيدًا :

ـ المخزن تستأجره شركة بترول دولية شهيرة ، ما زلنا ندرس احتمالات تورطها فى عملية دفن النفايات السرية فى أرضنا ..

عاد اللواء (حفنى) يسأل :

ـ وماذا عن العملية نفسها ؟!

أجاب العميد (حرب) :

ـ الحاويات مازالت فى حوزتنا ، والباخرة أبحرت لكننا مازلنا نتحرى مسارها حتى وصلت إلينا بدقة ، قد يستغرق هذا وقتًا لكنه ضرورى حتى نتقدم بالشكوى مكتملة إلى الأمم المتحدة مرفق معها جميع المستندات وأدلة الاتهام الضرورية ..

سؤال :

ـ والحفرة ؟!

جواب :

ـ نعمل على ردمها الآن بعد أن دفنا فيها جثث (كيم) و(روس) ورجالهما الثلاثة ، إنهم تحت الأرض الآن بالفعل !

ابتسامة :

ـ أراك استعدت بعضًا من لياقتك القديمة فى هذه العملية ، عميد (حرب) ..

وابتسامة :

ـ للحق شعرت بهذا يا سيادة اللواء ، وتمنيت لو يعود يوم واحد من الأيام الخوالى ..

ـ خلتك تعيش الماضى كل يوم بالنظر إلى تلميذك يكبر أمام عينك ..

ـ هذا موضوع آخر ..

ـ أنت تهرب من المواجهة كالمعتاد ..

ـ ربما ..

ونهض العميد (حرب) مؤديًا التحية العسكرية :

ـ هلا أمرتنى بشىء يا سيادة اللواء ؟!

نظر اللواء (حفنى) مليًا فى وجه محدثه ، قبل أن يقول :

ـ تستطيع الانصراف ، عميد (حرب) ..

انصرف العميد (حرب) ، وغاص اللواء (حفنى) فى مقعدة ناظرًا إلى الشمس الشاخصة عبر النافذة ..

وهو يبتسم فى حنين ..

★ ★ ★

٧ـ خاتمة .. ونهاية .. وبداية جديدة !

طرقات خفيفة على الباب ..

ـ تفضل ..

هتف بها (نادر الشريف) بصوته الجهورى ، ليبرز من خلف الباب (عمر زهران) مبتسمًا وهو يحمل علبة من الشيكولاتة ..

(نادر) طريح الفراش فى المستشفى ، ذراعه اليمنى وقدمه اليسرى مجبرتان ومثبتتان إلى حاملين معدنيين ، وبرغم هذا قد صاح ـ كقنبلة نووية ـ فور رؤيته لـ (عمر) :

ـ إنه أنت أيها الوغد !

ابتسم (عمر) لدعابته التمثيلية ، وهمس :

ـ صه .. إن معى ضيفًا آخر ..

قطب (نادر) :

ـ العميد (حرب) ..

ـ بل أنا ..

(دينا واصف) دخلت الغرفة حاملة باقة من الزهور الرقيقة الملونة ..

- لا ، هذا كثير على شخصى المتواضع ..

هتف بها (نادر) مأخوذا ، وتشبث بملابس (عمر) صائحًا فى جد ممزوج بالهزل :

- .. انظر إليها يا (عمر) ، أكاد أقسم إنها تبتسم !

اتسعت بسمة (دينا) وكادت تفلت منها ضحكة ، وهى تقول :

- لحسن حظك أننا لسنا فى أوقات العمل الرسمية ..

نقل (نادر) بصره فى سرعة بينهما ، وتساءل :

- متى ستتزوجان ؟!

صمت ..

و ...

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]